نور المسيح
ΦΩΣ XPIΣTOY

مجلة شهرية

عدد: Issue No: 56
نيسان April 2012

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

المسيح قام من بين الأموات
وداس الموت بالموت
ووهب الحياة
للذين في القبور

كنيسة
الروم الأرثوذكس
دعيت وبنجاح
كنيسة القيامة

محتويات العدد

2 الصلب والقيامة

3 كلمة غبطة البطريرك
كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 مريم العذراء
حواء الجديدة

6 آلام المسيح الطوعيّة

10 الخلاص
القديس أثناسيوس الإسكندري

12 حضور الأصل في الأيقونة

14 الملائكة وخدمة التعبّد

15 هل حقاً تحب الله

16 رموز العذراء. (١٦)

17 تفسير القدّاس الإلهيّ

18 أين نجد السعادة

19 إقامة لعازر

20 ماذا نقصد بقولنا بالقيامة

21 العهد القديم. (٤٠)

22 سرّ الموت. (٢)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح: كفركنا - الشارع الرئيسي
(الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير: هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

القديس غريغوريوس اللاهوتي

القديس غريغوريوس اللاهوتي

- المسيحُ قام من بين الأموات، فقوموا أنتم معه.
- المسيح عاد واستوى في مكانه، فعودوا أنتم معه.
- المسيح تحرر من رُبُطِ القبر، فتحرروا أنتم من رُبُطِ الخطيئة.
- أبواب الجحيم قد فُتحت، والموت ينحل.
- آدم القديم يبتعد والجديد يعود إلينا.
- فإذا كانت خليقةٌ جديدةٌ بالمسيح، فتجدّدوا أنتم.
- الفصحُ فصحُ الرب. هذا عيد الأعياد وموسم المواسم، فهو فوق الأعياد والمحافل جميعاً، وفضله على سائر الأعياد كفضل الشمس على سائر الكواكب. اليوم نعيِّد القيامة نفسها التي لم تعد أملاً ورجاءً، بل واقعاً حيّاً، وموضوع فرح دائم في غلبتنا الموت. فقد اشتملت العالم بأسره.
- ومتى صعد المسيح إلى السموات، فاصعدْ معه، وكُنْ مع الملائكة. ساعد في أن ترفع الأبواب لأستقبال الآتي من الآلام بحفاوة.
- وأَجبْ السائلين: «من هو هذا ملك المجد» أجب إنه السيد الرب ملك المجد، و«إنه الرب القوي والقدير».
- يا أيها الناهضُ، إذا وصلنا باستحقاق إلى الغاية المبتغاة، وصرنا مقبولين في الأخدار السماوية، سنقرب لك بصحة العزم ذبائح مقبولة على مذبحك المقدس.
- يا أيها الآب والابن والروح القدس، لأنه لك يتوجب كل مجد وإكرام وسلطان إلى دهر الداهرين.

القديس بوليكاربوس أسقف أزمير

القديس بوليكاربوس أسقف أزمير

جاء في إحدى عظات القديس بوليكاربوس أسقف أزمير (القرن الثاني) عن الإيمان بقيامة المسيح ونتيجته على حياة المؤمن وسلوكه:

«.. شدّوا أحقاءكم واتقّوا الله بالمخافة والحق طارحين جانباً كلام الثرثرة الفارغ وضلال الأمم، موطِّدين الإيمان على من أقام ربنا من الموت، وآتاه المجد، وأعطاه عرشاً عن يمينه. له يخضع كل ما في السماء وعلى الأرض» ويعطيه كل من فيه نسمة حياة. وعندما يأتي «ليدين الأحياء والأموات» سيُقاضي عن دمه كل من رفض الإيمان به.«والذي أقامه من الموت» ، سيُقيمنا معه أيضاً إن امتثلنا لمشيئته، وسرنا على طريق وصاياه، وأحببنا ما يحب، وتركنا كل إساءة وطمع ونميمة وشهادة زور، وعن حب المال المفرط متجنبين مجابهة شر بشر، وشتيمة بشتيمة، وضربة بضربة، ولعنة بلعنة، ذاكرين تعليم من قال: «لا تدينوا لئلا تُدانوا، اغفروا يُغفر لكم، أرحموا تُرحموا، بالكيل الذي تكيلون به يُكال لكم، طوبى للمساكين وللمضطَهدين من اجل البرّ فإن لهم ملكوت الله» .

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة عيد الفصح المجيد

«أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حيّاً وآمن بي فلن يَموت إلى الأبد» (يو١١: ٢٥-٢٦).

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح
أيها المسيحيّون الحسني العبادة

إنّ قيامة ربّنا ومخلصنا يسوع المسيح الظافر من بين الأموات ، هي الإجابة الحقيقية، والكاملة والصحيحة ، لذاك السؤال التاريخي الهام الذي سأله الوالي بيلاطس البنطي للسيّد المسيح : «وما هو الحق ؟» (يو١٨: ٣٨).

الحقّ: هو السيّد المسيح (آدم الجديد): من خلال عمله الخلاصي ومن أجل كثرة محبّته التي لا تُستقصى لجنس البشر ، طأطأ السموات وانحدر ، آخذاً صورة عبد ، صائراً في شبه الناس، بتجسّده من دماء العذراء . طائعاً حتى الموت موت الصليب ، مفتدياً آدم القديم الساقط بدمه الكريم، ومنقذه من سلطان الموت ، ومدخلاً إيّاه إلى فردوس النعيم، من خلال القيامة المجيدة ، واهباً ومُنعماً له بالحياة الأبديّة مجّاناً .

لذا حدث القيامة هو عيد الأعياد وموسم المواسم إنّه الفصح المجيد أي العبور من (أرض مصر واستبداد فرعون أي سلطان الخطيئة والموت وحكم الشيطان) ، إلى أرض الموعد أي (حريّة أبناء اللّه ـ في الملكوت ، والنعيم الدائم ، والحياة الأبديّه).

إنّ مضمون حدث القيامة المعبّر عنه بتحيّة الإنتصار: «المسيح قام. حقّاً قام». يشمل في داخله السلام ، والرجاء ، والفرح الفصحي ، الذي يؤكّد بعزيمة وثبات إنتصار المسيح على سلطان الموت ، وأيضاً كشركة إلى تكملة الحياة الإلهيّة بالمسيح مُسبقاً في هذا العالم الحاضر. هكذا فإننا نصبح شركاء في هذه الحياة المجيدة، من خلال سرّ الإفخارستيّا ، والصلاة الليتورجيّة (القداس الإلهي) في كنيستنا. لذلك الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة ، دُعيَت وبنجاح كنيسة القيامة.

قيامة المسيح ، هي الحدَث المميّز ، الذي تجاوز حدود الطبيعة ونواميسها، فالقيامة ما هي إلاّ عمل القوى الشاملة الإلهيّة الضابطة الكلّ.

قيامة المسيح المجيدة من بين الأموات حسب الرسول بولس: «من خلال قوى مجد الآب» (رومية ٦: ٤)، وكذلك يذكر الحكيم بولس في موضع آخر: «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدّة قوّته. الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات» (أفسس ١: ١٩-٢٠).

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح

إنّ قيامة المسيح هي الينبوع ، والضمان الأكيد من أجل خلاصنا وخلاص العالم ، فالقديس يوحنا الدمشقي يؤكّد هذا ، وفي ما تجدّد بعد القيامة يقول : ﴿وبعد قيامة المسيح من بين الأموات ، زالت عنه كلّ الإنفعالات. أعني بذلك البلى الذي هو جوعٌ وعطشٌ، نومٌ وتعب، وما شاكل ذلك. وإن كان ذاق طعاماً بعد قيامته، ليس بموجب حاجة الطبيعة، فإنّه لم يكن عرضة للجوع، بل كان ذلك في سبيل تدبير خلاصنا ليُثبت لنا حقيقة قيامته ، ذلك أن الجسد الذي تألّم هو نفسه قد قام ، وأنّه لم يُهمل جزءاً من أجزاء طبيعته ، ولا جسده ولا نفسه ، بل قد حافظ على جسده ونفسه الناطقة والعاقلة ، المريدة والفاعلة. وقد جلس ـ على هذه الصورة ـ عن يمين الآب ، وهو يريد خلاصنا بإرادته الإلهيّة ـ البشريّة ، ويعمل ، من جهة ، بفعله الإلهيّ على العناية بالجميع وحفظهم وسياستهم ، ويعمل ، من جهة أخرى ، بفعله البشري على ذكر جميع العائشين على أرضه، ناظراً وعارفاً أنّ الخليقة العقليّة كلها تسجد له، لأنّ نفسه القدّوسة تعرف أنها متّحدة باللّه الكلمة في أقنومه وأنه يُسجَد لها معه بصفتها نفس اللّه، وأنها ليست مجرَّد نفس فحسب. والصعود من الأرض إلى السماء والإنحدار منها ثانية إنما ذلك يختصّ بجسد محدود. وقد قيل عنه: «هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما عاينتموه منطلقاً إلى السماء» (أعمال ١: ١١)﴾ .

لذالك نضم صوتنا مع القديس يوحنا الدمشقي ونرنّم قائلين: اليوم صار الخلاص للعالم لأنّه قام المسيح كضابطٍ للكل.

المسيح قام ، حقّاً قام

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

مريم العذراء ، حواء الجديدة
أعظم إمرأة في الوجود

+ ليس للفرد حق اختيار أمه ولكن السيد المسيح اختار أمه

+ ليس للفرد حق في أن يختار أمه ، وله أن يختار زوجته ، ولكن السيد المسيح أختار أمه لتكون إناءً مقدساً لحلوله «لأنك قد وجَدْت نعمة عند الله » (لو١:٣٠) . فإذا كانت المرأة التي سكَبت الطيبَ على قدمي السيّد المسيح قد استحقت أن يقال عنها «حيثما يكرّز بهذا الإنجيل في كل العالم يذكر ما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها » . فكم يكون الإكرام اللائق لمن لم تسكب الطيب على قدمي المسيح ، بل سكبت القلب طيباً ثميناً . وقد تنبأت العذراء وقالت : «منذ الآن جميع الأجيال تطوبني » (لو١:٤٨) . ولم تبرح عالمنا حتى رأت وسمعت تحقيق هذه النبوة . إذ بامرأة ترفع صوتها من الجمع وتقول : «طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما »(لو١١:٢٧) . فإذا كانت هذه منزله القديسه مريم العذراء وكرامتها فكيف تكرمها الكنيسة ؟

المرأة وجدت فى المرأة محامياً عنها:

أخطأت حواء و سقطت و أسقطت آدم والجنس البشري كله . ولكن المرأة وجدت فى المرأة محامياً عنها كما يقول القديس غريغوريوس (الثيئولوغوس) الناطق بالآلهيات . وهكذا صارت العذراء مريم هي شفيعة ومحامية لحواء كما قال القديس إيريناوس (إن المخالفة العذراوية عادلتها من الناحية الأخرى طاعة عذروية أيضاً) . لذلك رفع الله عن المرأة هذه العقوبة التى نالتها نتيجة السقوط «وهو يسود عليك» (لو٣:١٧) ، فصرنا نقرأ فى العهد الجديد أنه «لا فرق بين ذكر وأنثى فى المسيح يسوع » (غل٣:٢٨) . وفي (١كو١١:١١) يقول: «ليس الرجل من دون المرأة ولا المراة من دون الرجل في الرب» . بل أن بطرس الرسول يعتبر أن «عدم إعطاء المرأة كرامتها يعيق الصلاة»(١ بط٣:٧) وهكذا أيضاً تكون المساواة فى السماء إذ «هناك يكونون كملائكة الله» (مت ٢٢:٣٠)،والملائكة ليس بينهم ذكراً وأنثى كما تعلمون .

حواء الأولى وحواء الثانية:

دعى القديس بولس الرسول الرب يسوع المسيح بآدم الثاني أو آدم الجديد، وعقد عدة مقارنات بينه وبين آدم الأول في الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى والأصحاح الخامس من الرسالة إلي رومية قوله: «صار آدم الانسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً.. الانسان الأول من الأرض ترابي . الانسان الثاني الرب من السماء.. لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع »(١كو ١٥:٢٢،٤٥،٤٧).

وأساس هذه التسمية أن آدم هو الرأس والأب الأول للبشرية من ناحية الجسد، وأن السيد المسيح يعتبر الرأس والأب الأول للبشرية من ناحية الروح.

وعلى ذات القياس نستطيع أن نسمي القديسة مريم العذراء بحواء الثانية باعتبارها الأم الجديدة والروحية للبشرية. وهذه التسمية ليست مبتكرة ولكن لها صدى في أقوال الآباء القديسين.

ولعل السيدة حواء الأولى ، والسيدة العذراء مريم أو حواء الثانية، هما أهم وأشهر إمرأتين في تاريخ العالم . كما أنه لا غنى لاحداهن عن الأخرى، فلولا حواء الأولى لما وجدت حواء الثانية ، ولولا حواء الثانية لما خلصت حواء الأولى وكل نسلها!

إنّ الخطية والموت واللعنة التي جلبتها حواء الأولى على الجنس البشري قد أزالتها حواء الثانية إذ قدمت للبشرية مخلص العالم وحسب تعبير القديس غريغوريوس الثيؤولوغس : «إن حواء الأولى وجدت في العذراء خير محام رد للمرأة إعتبارها وكرامتها».

تقول الاحصائيات أن هاتين الشخصيتين هما أكثر الشخصيات النسائية التي تعرضت لها أقلام الكتاب والأدباء والشعراء والفلاسفة ورجال الدين في أحقاب التاريخ المختلفة وبدرجات تتراوح بين التمجيد والتنديد.

إن حواء تمثل المرأة عموماً في ملامحها الرئيسية وصفاتها الموروثة والمعروفة في كل زمان ومكان وإن اختلفت بعض الرتوش، لقد وصفها فيلسوف اليونان الشهير افلاطون بأنها «جاءت بالحب إلى الأرض وأن الحب الذي تزرعه فينا ليس إلا شعاعاً من نور حب الآلهة في السماء».

ولكن من الناحية الأخرى ندّد بها **الفيلسوف الألماني شوبنهور** الذي عرف بأنه «**عدو المرأة**» إذ وصفها بكل شر ورذيلة واعتبرها مأساة الوجود التي تركت أبشع الآثار في التاريخ!

وهناك من جمع بين التمجيد والتنديد معاً في وصف هذه الكائنة المعقدة فقال : « إن الخالق أودع في حواء جمال القمر، وعمق البحر، وهدير الأمواج ، ولمعان النجوم ، وشعاع النور، وقطرات الندى ، وتقلب الريح ، وعطر الورود ، ورقة النسيم ، وحكمة الحية ، وتلون الحرباء ، شرود الغزال ، وزهو الطاووس ، وشراسة الذئب ، ومكر الثعلب ، وغدر الزمن ، ولدغة العقرب ، وصوت اليمامة ، وثرثرة الببغاء »!!

ولئن كانت حواء تمثل المرأة في نقصها، فإن العذراء مريم تمثل المرأة في كمالها، وفي صورتها المنقحة ولعلها صورتها الأولى قبل السقوط أو أفضل.

وفي ضوء الصورة التي رسمها لنا الكتاب المقدس والتقليد ، نستطيع أن نذكر بعض المقارنات الجوهرية بين الشخصيتين لتصوير أهم ملامح كل منهما وكيف يمكن أن ترقى بنات حواء

مدارج الكمال في العذراء القديسة مريم أو حواء الثانية . ولا يخلو هذا الحديث من فوائد روحية وتعليميه ، ليس للنساء فقط وإنما لكل مواليد النساء معاً.

أولاً:المرأه والحياة:

حواء اسم عبري معناه (حياة) ، وقد أعطاه آدم لزوجته باعتبارها «أم كل حي»(تك٣:٢٠) ، وكانت حواء هي واسطة الإثمار والإكثار والحياة بالانجاب والولادة التي منها خرج ملايين النساء والرجال وصارت حواء الأولى أمّاً لكل إنسان حيّ جاء أو سيجيء على ظهر الأرض حتى نهاية العالم ، ولكن لا يغيب عن البال أن الملايين الذين أعطتهم حواء حياة ، قد استمدّوا منها حياة جسدية فقط ـ تحتاج إلى الخلاص . حياة على الأرض وليس في السماء، لأن الأنسان لا يستطيع أن يعطي أكثر مما يملك ، وفاقد الشيء لا يعطيه. أنها حياة قصيرة سريعة الزوال عتيدة أن تنتهي بموت الجسد والروح معاً ، بموت أدبي وموت أبدي. إن أولاد الجسد صاروا أولاد إبليس ولا خير في حياتهم مهما بلغ عددهم أو طال عمرهم لأنهم إلى البوار يسيرون وسوف يكتشفون يوماً أنه كان خيراً لهم لو لم يولدوا (مر١٤:٢١).

١) ـ حواء الثانيه ، أم الحياة:

أما حواء الثانية فكانت سبب حياة هي الأخرى، ولكن حياة أفضل ، حياة روحية أسمى بقدر ما تسمو الروح على الجسد ، وحياة أعظم بقدر ما تخلد الروح وتعيش إلى الأبد بينما يموت الجسد سريعا ويعود إلى التراب. ومع أن القديسة مريم لم تنجب إلا إبناً وحيداً هو مخلص البشر الذي لم يتزوج وينجب ، إلا أن الكتاب يقول عنه بروح النبوة على فم أشعياء أنه بفدائه «يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح» (أش٥٣:١٠)، وكان النبي يتحدث هنا عن النسل الروحي إذ تبنى المسيح ملايين البشر الذين آمنوا به.وهكذا قيل أن «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولكن من الله ولدوا» . (يو١:١٢–١٣).

ثانيا : المرأه و الجمال: ١) حواء الأولى و الجمال

كانت حواء الأولى جميلة جداً وتصفها تقاليد اليهود بأنها كانت آية رائعة في الجمال أَبْدَعَ الخالق في صنعها. وهذا مستفاد أيضاً من قول الكتاب أن الله خلقها على صورته ومثاله قبلما شوهتها الخطية. وهناك دليل واقعي ملموس على جمال حواء الفائق، وهو ما نرى قبساً منه في جمال معظم بناتها حتى اليوم رغم مرور ألوف السنين وعصف الزمن وما أفسدته أمراض الخطية وفقدان الصورة الألهية الأولى، فكم يكون جمال الأصل قبل النسخ والمسخ!

بالسقوط فقدت حواء الجمال الروحي، وربما احتفظت إلى حين بالجمال الجسدي ، ولكن هذا أيضا بدأ يذبل وتدب فيه عوامل التدهور والفناء. إن حكم الطرد من الجنة وأوجاع الولادة والتعب والشقاء والخوف والقلق وتأنيب الضمير والحرمان من السعادة الأولى ، والحزن على مقتل هابيل وزحف الأمراض والعلل والشيخوخة ومقدمات الموت.. كل هذا ظهرت آثاره في بياض الشعر وتجاعيد الوجه وهزال الجسم وكلل العينين وتساقط الأسنان وانحناء الظهر ، وبذلك تكون الخطيئة والانفصال عن اللّه قد قضيا على كلٍ من الجمال الروحي والجمال الجسدي معاً.

٢) ـ حواء الثانية والجمال

أما جمال العذراء فتُحدّثنا عنه التقاليد القديمة، كما تصوره ريشة الفنانين المبدعين في رسوماتهم التي اقتبسوها من الصورة التاريخية التي رسمها لها القديس لوقا البشير، وتسابق فنانو عصر النهضة مثل **رافاييل وانجلو ودافنشي وموريللو** وغيرهم في إظهار حسنها وروعة جمالها وجلالها، فهي أقرب صور المرأة إلى الأم الأولى حين كانت في حالة البراءة والطهارة وأقرب الأمثلة للأصل الإلهي المبارك والكامل. قيل عنها بروح النبوة: «هن عذاري بلا عدد. واحدة هي حمامتي كاملتي . رأتها البنات فطوبتها الملكات فمدحنها» (نش٦:٨–٩). غير أن جمال العذراء لم يقتصر على الجسد ولكن تعداه بالاكثر إلى جمال أفضل وأمجد هو جمال النفس والروح والصفات والفضائل . أنه جمال النعمة والشركة مع الله ، جمال العبادة والخدمة وبهاء النقاوة والطهارة والعفة والوداعة وتواضع القلب والهدوء والوقار والاتزان وحلاوة اللسان وبهجة القلب الفرحان الذي يجعل الوجه طلقاً. ولذلك قيل عنها «إن كل مجد إبنة الملك من داخل»(مز٤٤:١٣) ، وأن « اللّه يجمل الودعاء بالخلاص» (مز١٤٩:٤) ،وأن «الحسن غش والجمال باطل وأما المرأة المتقية الرب فهي تمدح» (ام٣١:٣٠) . انه جمال ملائكي مضيء بتجلي النعمة التي تملأها.

ثالثا : المرأه و السقوط: ١) ـ حواء الأولى (غرقت في الميناء)

عاشت حواء في جنة ، أي في أفضل وأقدس جو ومكان وأعطاها الرب السيادة والسلطان مع آدم على الخليقة ، وكان ذلك كافياً أن يؤهلها لأقدس حياة إذ لم يكن في الجنة شرّ ولا أشرار . ورغم ذلك وعند أول تجربة سقطت حواء ، ومثالها ويا للعجب، مثال السفينة التي تغرق وهي في الميناء وليس في عرض البحر أو في العاصفة العاتية. لقد كانت مسببات السقوط في داخل حواء ، أي في القلب وليست من الوسط الخارجي . ومعنى هذا أنه إذا كان الانسان محصناً ومتسلحاً في الداخل فلا تقوى عليه الظروف الخارجية المحيطة مهما كانت شرّيرة . وبالعكس إذا لم يكن محصناً من الداخل فسوف يسقط ولو كان في أفضل الأوساط.

٢) ـ حواء الثانية (انتصرت وسط العواصف)

أما العذراء فقد عاشت أقدس حياة رغم وجودها في الناصرة وكانت مدينة شرّيرة سيئة السمعة لدرجة أنه عندما دعى فيلبس نثنائيل وقال له «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع الذي من الناصرة» صاح هذا مستنكراً «أمن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح ؟! »(يو١:٤٦). فبينما غرقت حواء في الميناء وهي في جنة ، نجت العذراء وانتصرت وسط العاصفة وهي في الناصرة.

وبذلك تعطينا العذراء درساً هاماً في عدم مسايرة الوسط الشرّير وفي إمكانية التغلّب عليه ، وأنه لا عذر للانسان المتهاون الذي يجاري تيار الشرّ والخطية معتذراً برداءة الوسط المحيط به . ولا يقبل من الانسان كسر وصايا الله ثم يحتج بالوسط ، كما لا يقبل من المصباح ألا يضيء بحجة ظلام الوسط حوله لأن هذه رسالته أن ينير ويبدد الظلام المحيط .

يتبع في العدد القادم

آلام المسيح الطوعيّة

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

عظة رقم ٨٥

ΕΠΕ 14, 610–695

«فحينئذ أسلمه إليهم ليُصلَب ، فأخـذوا يسـوع ومضـوا به. فخرج وهو حـامل صليـبه ، إلى الموضع الذيّ يُقال له موضع الجمجمة ، ويقال له بالعبرانية جلجُثه حيث صلبوه» (يو١٩:١٦-٤٠)

بيلاطس يسلّم المسيح لليهود :

يتميّز المتنعّمون بأن لديهم قوّة جذب كبيرة حتى للذين يمكنهم أن يفوزوا عليهم. فاليهود برغم أنهم نالوا معونة اللّه في البداية ، وانتصروا على مملكة المصريين ، إلاّ أنهم اشتهوا ناموس مملكة الأمم (التنّعم). فبعد أن أكلوا المن في الصحراء ، اشتهوا أكل البصل في مصر. بنفس الطريقة هنا رفضوا ملك المسيح طالبين لأنفسهم ملك قيصر. ولأجل هذا أُعطَى لهم ملكاً بحسب ما أرادوا.

عندما سمع بيلاطس هذا الكلام ، سلَّمه إليهم لكي يُصلَب. يا له من إنعدام تام للبصيرة. إذ بينما كان يجب عليه أن يتحقّق ويسأل عما إن كان المسيح حقّاً قد شرع في أن ينصِّب نفسه ملكاً بسلطة مستبّدة ، نجده يُصدر قراراً نتيجة الخوف. وبالرغم من أن المسيح قال له إنّ «مملكتي ليست من هذا العالم» (يو١٨:٣) ، إلاّ أن بيلاطس كان قد استسلم للأمور العالمية (السلطة). لم يُرد أن يتدبّر الأمر بحكمة حتى يُتاح له نصيب في ما هو أعظم. وبالرغم من أن حُلم إمرأته كان يمكن أن يدهشه ويحيّره ، مما يجعله يعيد النظر في قراره ، إلاّ أنه ظلّ كما هو ولم يتغيَّر إلى الأفضل ، ولا استطاع أن ينظر إلى السماء ، بل سلَّمه لليهود.

إسحق والمسيح :

أولئك اليهود حمَّلوه خشبة الصليب كأنه محكومٌ عليه ، ولأنّهم اعتبروا خشبة الصليب علامة لعنة ، رفضوا حملها أو الإقتراب منها. هكذا تحقّق ما أخبرنا به الكتاب بالرموز والظلال عن الموت على مثال الصليب. حيث حمل إسحق خشب المحرقة. لكن في حالة إسحق لم يصل الأمر إلى لحظة تنفيذ القرار بواسطة أبيه (إذ كان الحدثُ مثالاً). لكن الأمر في حالة المسيح وصل إلى التنفيذ الفعلي ؛ لأن موته كان حقيقةً وليس ظلاً ، فجاء إلى مكان الجمجمة. والبعض يرى أن آدم مات ودُفن في هذا المكان ، والمسيح صُلِبَ في هذا المكان حيث ملكَ الموت. هناك أقام النُصُب التذكاري للنَصر حيث خرج حاملاً الصليب كنُصُب تذكاري للأنتصار على طغيان الموت. ومثل المنتصرين حملَ المسيح ـ هكذاً ـ الصليب على كتفيه شعاراً للنُصرة.

صُلِبَ مع اللصوص :

وهنا تبدو أهمية عدم تردّد اليهود في إتخاذ قرار صلب

المخلّص يحاكم وبدون علّة ، أمام الشيوخ في بيت رئيس الكهنة

المسيح، إذ أن تلك الأمور التي فعلوها ، صارت لأجل إظهار الحقّ ، ولكي تعلم كم هي قوّة الحقّ. لأن هذه الأمور سبق وأن قالها النبي بوحيٍ من السماء «أُحصِيَ مع أثمة» (إش٥٣:١٢). لقد أراد الشيطان أن يغطي على الحدث، ولكنه لم يستطع. فبالرغم من أن ثلاثةً صُلبوا فعلاً ، لكن واحداً كان ذو بهاء وهو المسيح. وحتى تعلم أن قوّته صنعت كلّ شيء ، فإنّه بالرغم من أن الثلاثة كانوا معلَّقين كل واحد فوق صليبه ، لم يستطع أحد أن ينسب واحدة من المعجزات التي حدثت إلى أيٍّ من الأثنين الآخرين ، بل فقط إلى يسوع المسيح. وهكذا هرب الشيطان خائفاً ، وخرج كل ما كان يفكّر فيه بعيداً عن الهدف تماماً ، حتى أن واحداً من اللصين خَلُصَ. إذن فالشيطان لم يستطع أن يلحق ضرراً بمجد المصلوب. وليس هذا فقط ، بل تمَّمَ كل شيء يؤدي إلى مجده. لأن تحوّل اللص المصلوب وذهابه إلى الفردوس أحدث دوياً هائلاً ليس أقل من الدويّ الهائل الذي حدث حين تزعزعت الصخور وتشقّقت.

ملك اليهود :

«وكتب بيلاطس عنواناً ووضعه على الصليب. وكان مكتوباً يسوع الناصري ملك اليهود» (يو١٩:١٩). وهذا كان أمراً **ضد اليهود** وفي نفس الوقت **لمجد المسيح**. فقد تسلَّم اليهودُ المسيح من بيلاطس بسبب خسّة الأخير ، وإمعاناً في إهانته قرّروا أن

يُصلَب مع لصَّين، حتى لا يعطوا أحداً الفرصة من التحقّق من إتهاماتهم الخبيثة ، فَيَصدُق أنّه شخصٌ شرّير. ولكن بيلاطس ـ بهذا المكتوب ـ لم يسُدَّ أفواههم فقط، وبل وكل الذين حكموا على المسيح. فأظهر للجميع أنهم تمرّدوا ضدّ ملكهم ، فظهر الصليب وكأنه نُصبٌ تذكاريٌ للنصر كُتبَ عليه عنوان يقول للجميع: إفرحوا وأعلنوا النصر واكرزوا بالملكوت. وقد أعلن هذا ، ليس بلغة واحدة ، بل بثلاث لغات. إذ أنّ كثيرين من أمَم أخرى غير اليهود كانوا موجودين بسبب العيد. فحتى لا يجهل أحدٌ الإعلان الذي يُعتبر دفاعاً عن المسيح ، فضَحَ هَوَس اليهود بكل اللغات حيث إنّهم حقدوا على المصلوب.

ودعونا نسأل اليهود: بماذا أذاكم المسيح ؟ طبعاً لم يؤذهم بالمرّة. فإن كان غيرُ قادر على فعل شيء ، وسينتهي تماماً بموته ، فلماذا تخافون من الحروف التي تقول إنه ملك اليهود ؟ ماذا قالوا؟ «فقال رؤساءُ كهنة اليهود لبيلاطس لا تكتب ملك اليهود بل إنَ ذاك قال أنا ملك اليهود» (يو١٩:٢١). حتى يظهروا أن الإتهام كان نتيجة وقاحته وكبريائه. لكن بيلاطس لم يغيِّر رأيه بل ظلَّ ثابتاً على رأيه السابق. «أجابَ بيلاطس ما كتبت قد كتبتُ» (يو ١٩:٢٢).

ولهذا الإعلان المكتوب أهمية عظمى بالنسبة لخطة تدبير اللّه ؛ لأن خشبة الصليب التي دُقّت على الأرض، لم يهتم أحدٌ بإخراجها بعد إتمام عملية الصّلب والدفن بسبب الخوف الذي سيّطرَ على الجميع آنذاك. وكذلك بسبب إنشغال المؤمنين بمسائل أخرى طارئة. لذا فقد بدأ البحث عن صليب المسيح بعد سنوات من هذا الحدث ، وكانت هناك بالطبع ثلاثة صلبان معاً. وحتى لا يكون صليب الرب مجهولاً ، فقد صار معروفاً للجميع أولاً من أنه كان موجوداً في وسط إثنين آخرين. ثم ثانياً من الإعلان المكتوب عليه ؛ لأن صليبَيْ اللصَّين لم يُكتَب عليهما أي إعلان

ثياب المسيح وقميصه :

قَسَّمَ الجنود ثياب المسيح فيما بينهم ، ولكنهم لم يقَسِّموا القميص. لاحظ كيف أنهم بأفعالهم الشرّيرة يتمّمون النبوّات (دون أن يدروا) ؛ لأنّ هذا سبَقَ أن قيل منذ القديم. وبرغم أن ثلاثةً قد صُلبوا إلاّ أنهم قسَّموا ثيابَ واحد فقط. فلماذا لم يقسِّموا ثياب الآخرين ، بل ثياب المسيح فقط؟ إنتبه من فضلك إلى دقّة النبوّة. لأن النبيّ قال اقتسموا ثيابه ، والقميص لم يقتسموه بل اقترعوا عليه. كما أنّ تعبير «منسوجاً كلّه من فوق» (يو١٩:٢٣) لم يكن على سبيل الصدفة . فهناك مَن يَعطون هذا التعبير أهميّةً رمزيّةً تدل على أنّ المصلوب لم يكن إنساناً عادياً ، بل يحمل في ذاته إلوهةً من السماء. أمّـا البعض الآخر فقالوا إن الإنجيليّ كان يسجّل لنا تاريخياً نوع ذلك القميص ؛ لأن الثياب في فلسطين كانت عادةً ما تتكون من قطعتين من القماش مخيّطَتين معاً ، وكانوا ينسجون الثياب بهذه الطريقة ، ولكي يُظهر يوحنا الإنجيليّ أن المسيح كان لابساً مثل هذا القميص ، قال: «منسوجاً كلّه من فوق». هذا قاله مُشيراً ـ كما أظن ـ إلى ثمن ثيابه الزهيد. وبالمثل أيضاً كانت كل الأشياء الأخرى التي كان يستخدمها. هكذا أظهر أن الرب كان متقشّفاً في ملابسه.

يا شعبي ماذا صنعت بك أو بماذا آذيتك ؟لعميانك أنرت .. ولبرصك طهرت .. وللرجل الذي على السرير قومت ..يا شعبي ماذا فعلت بك وبماذا كافأتني ؟عوض المن مرارة .. وبدل الماء خلاً .. وعوض أن تحبني على الصليب سمرتني فلا أطيق بعد احتمالاً سأدعو الأمم وأولئك يمجدونني مع الآب والروح.. وأنا أهبهم الحياة الأبدية.

المسيح يسلّم أمه ليوحنا :

وبينما كان الجنود يقومون بتقسيم ملابسه عليهم، كان المسيح الربّ يُسلِّم أمّه إلى تلميذه مُعلِّماً إيّانا أنه يجب أن نبذل كل إهتمام بالوالدَيْن حتى اللحظة الأخيرة. وإن كان قد قال لها في إحدى المرّات عندما طلبت منه شيئاً في لحظة غير مناسبة «مالي ولك يا إمرأة» (يو٢:٤) ، وقال في إحدى المرّات متسائلاً: «مَن هي أمّي ؟» (مت١٢:٤٨) ، إلاّ أنه يُظهر هنا حناناً قويّاً ، إذ أنه سلّمها إلى التلميذ الذي يحبه.

ويوحنا ـ أيضاً ـ يخفي ذاته من فرط تواضعه ؛ لأنه لو كان يريد أن يفتخر ، لكان قد ذكر السبب الذي لأجله أحبّه ، حيث إن السبب ـ من الطبيعي ـ أن يكون عظيماً وعجيباً. لكن لماذا لم يَقل المسيح ليوحنا شيئاً آخَرَ ، ولا حتّى عزّاه إذ كان حزيناً ؟ طبعاً لأنه لم يكن الوقت مناسباً لكلمات التعزية. على الجانب الآخر لم يكن أمراً هيّناً أن يُكرّم بمثل هذه الكرامة ويأخذ مكافأة على بقائه بالقرب من الرب وقت الصلب.

لكن عليك أن تلاحظ من فضلك، أنه بينما كان مصلوباً، فقد فعل كلّ شيء بلا اضطراب. فقد تحدَّثَ مع تلميذه عن أمِّه ، وتمّم النبوّة، وأعطى رجاءً حسناً للصّ، وذلك كله رغمَ ما بدا عليه قَبلَ الصليب من الإجهاد نتيجة التعب والصراع والإضطراب. ماذا يعني هذا ؟ لم يَثر هذا الموقف أبداً الشّك والريبة ؛ لأن الربّ أظهَرَ في الإجهاد والتعَب ضعف الطبيعة البشريّة ، بينما هنا أظهَرَ عظمة قوّته. من جهة أخرى ، فهو يعلّمنا بهذين الموقفَيْن أننا دائماً ما ننزعج عند حدوث النكبات. ولكن هذا لا ينبغي أنَ يجعلنا نهرب من المشقات، بل عندما ندخل في المعركة أو الصراع، فيجب أن نعتبر كل الأمور الحادثة مفرحة وسهلة ولا تسبب لنا أي اضطراب.

لا ينبغي أن نرتعب من الموت :

إذن دعونا لا نرتعب من الموت. ويمكننا إن نؤكّد أنّ النَفس ـ بطبيعتها ـ تحبّ الحياة، لكن الأمر يتوقّف علينا ، إمّـا أن نُخلِّصها من قيودها ونُضعِف الشهوة ، أو نربطها بشدّة بهذه القيود

ونجعل الشهوة أكثر طُغياناً وسيّطرة. يحدث ذلك مثلاً في شهوة الإتصال الجسدي، فعندما نتدبّر الأمر بحكمة يمكننا أن نسيّطر عليها. هكذا يحدث أيضاً مع الحياة. فكما وضع اللّه داخلنا الشهوة الجسدية لأجل ولادة الأبناء ، وبذلك يكون اللّه قد ضَمَنَ تعاقب الجنس البشري وحفظه من الفناء بواسطة الأولاد، ولم يُعِق سَيرَنا في طريق الإنضباط السامي. هكذا زَرَعَ داخلنا الشوق للحياة ليمنع بذلك الرغبة في أن نتخلّص من حياتنا وبذلك يشجعنا على احتقار أمور الحياة الحاضرة.

إذن يجب علينا ـ ونحن نعرف هذا ـ أن نحرص على الإعتدال، ولا نذهب بإرادتنا إلى الموت . وإن كُنّا نعاني من مشقّات لا حَصرَ لها ، فلا ننجذب لأولئك الذين يخافون ويتردّدون، بل علينا أن نُشارك في الجهاد بجرأة مُفَضّلين الحياة الأخرى على الحياة الحاضرة.

النساء يتابعن الموقف عند الصليب :

«وكانت نساء واقفات عند صليب يسوع» (يو١٩:٢٥). لقد أظهَرَ الجنس الأضعف وقتذاك جرأة أكثر؛ لأنّهن صنعن كل شيء. لقد سلَّم المسيح أمه لتلميذه قائلاً: «هوذا إبنُك» (يو١٩:٢٦). يا لها من كرامة عظيمة! لقد كَرَّمَ تلميذه بكرامة عظيمة!

فالمسيح يسلِّم تلميذه مهمة رعاية أمّه بعد رحيله من هذا العالم. فمن السهل جداً أن يطمئن عليها عندما تكون عند ذاك الذي كان يحبّه، فقد كانت (بالنسبة ليوحنا) في منزلة أمّه طبعاً ، وكانت مغتمّة وحزينة وتحتاج إلى عناية. ولذلك يقول لتلميذه: «هوذا أمّك». وقال كلّ ذلك لكي يوحِّد بينهما بالمحبّة. الأمر الذي فهمه يوحنا «ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصّته» (يو١٩:٢٧).

ولكن لماذا لم يقل شيئاً عن أي إمرأة أخرى، بالرغم من وجود إمرأة أخرى هناك؟ لكي يعلّمنا أن نعطي أمّهاتنا رعاية أكثر. فعندما يقاومنا الوالدان فيما يختص بحياتنا الروحيّة، لا يجب حتى أن نلتفت إليهما. لكن عندما لا يسبّبا لنا أية عراقيل في مسيرتنا الروحيّة يجب أن نقدّم لهما كل محبة. وأن يكونا في الرتبة الأولى قبل الآخرين؛ لأنهما إحتملا مشقّات لا حصرَ لها من أجلنا. هكذا أفحم (الرب) وقاحة **ماركيون الهرطوقي** ؛ لأنه لو لم يكن وُلِدَ بحسب الجسد لما كانت له أم. وإلاّ لأي سبب يعتني ـ فقط ـ بها وهو فوق الصليب ؟

المسيح يقبل الموت بإرادته :

«بعد هذا رأى يسوع أنّ كلّ شيء قد كمُل» (يو١٩:٢٨)، بمعنى أنه لم يُنقص شيئاً من خطة التدبير الإلهي ؛ فقد حرص ـ بكل الطرق ـ أن يبرهن على أنه يواجه الموت في جسده لأوّل مرّة. وطالما أن قبوله الموت كان متوقّفاً على إرادته ، ولم يكن قد واجه الموت في جسده قبل هذا الوقت، فقد قَبلَه الآن طالما أنه أكمل كلّ شيء، لذلك قال(سابقاً): «ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضا» (يو١٠:١٨).

لقد عرَف ـ إذن ـ أنّ كلّ شيء قد تمَّ. فقال: «أنا عطشان». وهنا أيضاً يتمّم النبوّة. أرجو أن تنتبه لمدى رداءة هؤلاء الموجودين (من اليهود والرومان). فعلى الرغم مما قد يكون لنا من أعداء لا حصر لهم ، وما قد يلحقوه بنا من شرور لا مفرّ من مواجهتها، إلاَّ أنّنا نأسف ونحزن عليهم عندما نراهم يقتلون أنفسهم. أما هؤلاء فلم يتعاطفوا معه ولم يهدأوا حتى بعد كلّ ما رأوه ، بل بالأكثر صاروا أكثر وحشيّة وزادوا من سخريتهم به وقدّموا له خلاً موضوعاً على زوفا. هكذا سقوه. مثلما يفعلوا مع المدانين، لأنه كان يوجد إناءً مملوءاً خلاً . (يو١٩:٢٩).

«فلما أخذ يسوع الخلّ قال قد أُكمل» (يو١٩:٣٠). أرأيت كيف أنه فعل كلّ شيء بلا اضطراب بل بسلطان ؟ هذا ما أظهره. وبعدما أتمّ كل شيء «نكَّسَ رأسه» ، «وأسلَمَ الروح» بمعنى أن الروح قد انطلقت. فالنفس الأخير لم ينطلق أولاً، ثم بعد ذلك نكَّسَ الرأس ، إذ أنه لم ينكّس رأسه لأن روحه انطلقت، الأمر الذي يحدث معنا نحن البشر، بل انطلقت الروح بعد أن نكَّس رأسه. وهكذا أظهر الإنجيلي أنه كان رب الكل.

الدم والماء المتدفقان من جنب المسيح الإله الأنسان هما لنا دواء الخلود وعربون الخلاص.

أمَّا اليهود الذين «يصفّون عن البعوضة ويبلعون الجمل» (مت٢٣:٢٤) ، فرغم ما فعلوه لم يهتموا بشيء إلاَّ بالبحث بكل تبجح عن الشكليات الجانبية. «ثم إذ كان استعداد فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت لأن يوم السبت عظيماً سأل اليهود بيلاطس أن تُكسر سيقانهم ويرفعوا» (يو١٩:٣١).

الكنيسة وجنب المسيح :

أرأيت قوّة الحقيقة؟ لقد تحقّقت بعض النبوّات بكل ما فعلوه بسيّدنا المسيح. كما تحقّقت نبوّة أخرى عندما أتى الجنود وكسروا سيقان اللصَيْن لكنهم لم يكسروا عظام المسيح. ولكي يصنعوا خدمةً لليهود ثقبوا جنبه بحربة فجرى من الجسد الميّت دمٌ وماء. يا لها من نوايا دنسه وحمقاء! ولكن لا تنزعج ولا تتضايق أيها الحبيب؛ لأن كلّ ما فعلوه بقصد شرّير، كان لإظهار الحقّ حيث إن ثمة نبؤة تقول:«سينظرون إلى الذي طعنوه» (يو١٩:٣٧ ، زك ١٢: ١٠).

وليس هذا فقط، بل إنّ هذه الجسارة صارت برهاناً للإيمان عند أولئك الذين سوفَ يؤمنون ، مثل توما وأمثاله. ومع كل هذا فقد تمَّ سراً لا يوصَف ؛ لأنه خرج منه دمٌ وماء. هذان النبعان لم ينشئا صدفةً ، **إذ بالأثنين تتكوّن الكنيسة. والذين يشتركون في الأسرار يعرفون ذلك معترفين بالماء (المعمودية) ومتغذّين بالدم والجسد (الإفخارستيّا) من هنا ينالون الأسرار. لدرجة أنهم عندما يأتون إلى الكأس الرهيب، يأتون هكذا كأنّهم يشربون من هذا الجنب المطعون.**

يوحنا شاهد عيان:

«والذي عاين شهد وشهادته حقّ» (يو ١٩:٣٥). أي لم أسمع من آخر. ولكن أنا نفسي رأيت وكنتُ موجوداً هناك. وشهادتي هي حقّ وحسنة جداً. لأنه يَصف سباباً وشتائم ولا يصف شيئاً عجيباً حتى لا يُسبّب شبهة للوصف ، بل هو نفسه سدَّ أفواه الهراطقة وقال مُسبقاً عن الأسرار التي ستتم في المستقبل ، ورأى الكنز الذي يوجد فيها. لقد وصف الحدث بدقّة. لقد تحقّقت تلك النوّة التي تقول:«عظمٌ لا يُكسَر منه» (يو١٩:٣٦ مز٣٣:٢٠). لأنه، بالرغم من أن هذا قيل مسبقاً ، ولكنه صار منطبقاً بالأكثر على ما حدث هنا. لذلك أشار يوحنا الرسول إلى النبي؛ لأنه رأى أنه غير مستحق أن يشير إلى ذاته، فأشار إلى موسى قائلاً إنّ هذا لم يحدث صُدفةً ، بل قيل مُسبقاً من البداية. وهذا هو الذي قيل عنه بأنّ «عظماً لا تكسروا منه» (خر١٢:٤٦ و عدد٩:١٢). وأيضاً ينسب للنبي تقييم الأحداث التي تُسرَد. هذه الأقوال قالها لكي تعلموا أن علاقة المثال بالواقع الحقيقي علاقة كبيرة جدّا. أرأيت كيف أنّه حرص على أن يصبح ذلك الأمر محلّ إيمان وتصديق، ذلك الأمر الذي يعتبر عاراً ويسبب خجلاً ؟. (الكلام هنا عن وصف التفاصيل المشينة التي حدثت أثناء الصلب من تكسير العظام وغيره).

كلّ هذا سجّله الإنجيليّ «لكي تؤمنوا» (يو٢٠:٣١).فلا يخجل أحدٌ متصوّراً أن الإيمان بهذه الأمور يسيء إلى فضائلنا. لأن ما يُعتبر عدم كرامة فإنه يمثّل فخراً لأمورنا الصالحة.

تكفين المسيح:

«ثمّ إن يوسف الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع» (يو١٩: ٣٨) لم يكن من الإثني عشر لكن ربما من السبعين (لأنه بحسب إعتقاده أنّ غضب اليهود قد انطفأ بصلب المسيح أتى بدون خوف وانشغل بالتكفين). فقد أتى يوسف الرامي ليطلب خدمةً من بيلاطس ، وبيلاطس منحها له. ولماذا لا يفعل هذا؟ لقد قدّم يوسف خدمة إذ كان القبر جديداً. وإذ كانوا مازالوا يعتبرونه المسيح إنسان عادي، ولتحقيق هذا الهدف (التكفين) حملوا معهم أطياباً من التي لها خاصية حفظ الجسد لوقت أطول ولا تسمح للجسد أن يتحلّل. الأمرُ الذي أظهر أنه لا يتوقعان (كُلٌّ من يوسف ونيقوديموس) شيئاً أسمى من هذا. وبجانب ذلك فقد أظهر كلٌ من يوسف ونيقوديموس حبهما الكبير للمسيح. لكن لماذا لم يأت أحدٌ من الأثني عشر، لا يوحنا ولا بطرسَ ولا شخصاً آخر من التلاميذ؟ والتلميذ (يوحنا) لا يُخفي هذا الأمر، فلو أراد أن يُنكر مسألة الخوف من اليهود ، لما قال إن هؤلاء كان يتملّكهم الخوف. حيث قال:«خفية بسبب الخوف من اليهود» (يو٢٠:١٩). ولا يستطيع أحدٌ أن يقول إنه قال ذلك بسبب احتقاره الشديد لهما ، بل هو نفسه برغم أنه خاف، إلاَّ أنه جاء (عند الصليب). أمَّا يوحنا فعلى الرغم من أنه كان موجوداً ساعة الصلب ورآه يُسلم الروح، إلاَّ أنه لم يفعل شيئاً مثل هذا (التكفين). فلماذا؟ أنا أعتقد بسبب أن يوسف كان من اليهود الرسميين جداً (وهذا صار واضحاً من التكفين). وبسبب أنه كان معروفاً لبيلاطس. لذلك أخذ على عاتقه هذه الخدمة ، وكفّنه، ليس كمحكوم عليه ، بل كشخصٍ عظيم كما تقتضي العادة عند اليهود.

ونظراً لضيق الوقت؛ لأنه مات قبل الساعة التاسعة وبعد ذلك أتى يوسف إلى بيلاطس ثم أنزل الجسد من على الصليب. وبالطبع كان وقت المساء حين لا يُسمح لأحد بالعمل ، فوضعوه في قبر قريب.

لقد رتَّبَ التدبير الإلهي أن يوضع في قبر جديد لم يوضع أحدٌ فيه حتى لا يظن أحـدٌ أن شخصاً آخر ميتاً ـ كان في نفس القبر ـ قد قام مع يسوع. وحتى يستطيع التلاميذ أن يأتوا بسهولة وأن يروا بأعينهم الأحداث ، طالما المكان قريب وكانوا شهوداً للقبر. ليس فقط هؤلاء ، بل الأعداء أيضاً إذ ختموا القبر وقاموا بحراسته. هذه كلّها كانت أموراً تؤكّد موته ودفنه في القبر. حيث اهتم المسيح بأن يُعترف بموته ليس بأقل من الأعتراف بقيامته. والتلاميذ أظهروا اهتماماً كبيراً بهذا حتى يبرّهنوا أنه مات. ثمّ بعد ذلك الكرازة بالقيامة من الأموات.

يوسف المتقي يحدر جسد المسيح الطاهر عن العود المحيي.

فها الكنيسة العروس تخاطب الحمل والفادي مخلصها قائلة:

أيها المتردّي النُّور كالسِّربال لما
أحْدركَ يوسفُ مع نيقوديموسَ
من الخشبة وشاهدكَ
مَيْتاً عُرياناً غيرَ مدفون،
أبْدَى عويلاً يرثى له وهتف
بنحيب قائلاً:
ويحي يا يسوع الحلو الذي من
قبل برهـة يسيرَة لمَّا شاهدتْهُ
الشَّمسُ على الصليب معلقاً
التحفتْ بالقتام. والأرضُ تموَّجتْ
خوفاً وحجابُ الهيكل تمزَّق.
لكنّي الآنَ أراكَ قد احتملتَ من
أجلي الموتَ طوعاً،
فكيف أُجهِّزُكَ يا إلهي، أمْ كيف
أُدْرجُكَ بالسَّباني. بأيِّ يَدَيْن
أُلامسُ جسَـدكَ الطَّاهر، أم بأيِّ
مـراث أُنْشـدُ لتجنيزك.
فيا أيُّها الربُّ الرؤوفَ أُعظِّمُ
آلامك وأسبّحُ دفنكَ وقيامتَكَ
هاتفاً: يا ربُّ المجدُ لك .

الخلاص بالتجسد والصلب والقيامة

عند القديس أثناسيوس الإسكندري

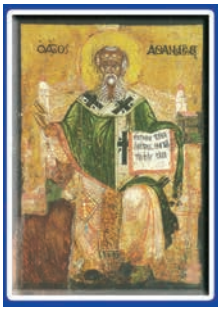

تتمة من العدد السابق

الجزء الثاني

ثانياً: الخلاص بالتجسّد والصلب والقيامة:

١ ـ يَعتبر القديس أثناسيوس أن مجرّد التجسّد أي حضور الكلمة في الجسد هو في ذاته له دور في إعادة الحياة الإلهيّة إلى طبيعتنا البشريّة .. فيعطي تشبيهاً بالمدينة التي سكن الملك في أحد بيوتها وكيف أنّه لا يجرؤ أي عدو أو عصابة أن تدخل إليها بسبب سكنى الملك في أحد بيوتها وهكذا لأن الكلمة جاء وسكن في جسد بشري فبدأت تبطل مؤامرة العدو ضدّ البشر وأبطل فساد الموت ، كل هذا بدأ بالتجسّد ويكتمل طبعًا بالصليب والقيامة. كما يذكر في المقالة الثانية ضدّ الآريوسيين: أن الإنسان المخلوق يتحد باللّه عن طريق تجسّد الكلمة خالق الجسد. وفي نفس هذه المقالة يذكر أن: "الكلمة لبس الجسد البشري المخلوق لكي بعد أن يجدّده فإنه يؤله هذا الجسد في ذاته. صار الإتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشري بالطبيعة بهذا الذي له طبيعة الألوهية ، ويصير خلاص للإنسان وتأليهه مؤكّداً ".

٢ ـ صلب المسيح وقيامته:

يقدم القديس أثناسيوس الخطوات التالية:

+ معضلة سقوط الإنسان:

أ ـ الإنسان بعد أن خلقه اللّه على صورته ـ الكلمة الإبن الوحيد ـ خالف الوصية ، فسادَ عليه الموت سيادة شرعيّة ، وفسدت طبيعة الإنسان وصار سلطان الفساد على كلّ الجنس البشري أكثر من سلطانه الطبيعي وذلك بالموت والبقاء في حالة الموت والفساد والحرمان من الوجود إلى الأبد ـ أي الحرمان من الوجود الحقيقي مع اللّه.

ب ـ لم يكن مكناً أن يترك اللّه الصالح المحب ـ في صلاحه وحبه ـ الإنسان المخلوق على صورته ليهلك ويصير تحت سلطان الفساد والموت ويرجع إلى عدم الوجود.

ج ـ فإهمال الإنسان لا يتفق مع صلاحه ولا مع قدرته بل يعلن ضعفه.

د ـ ولكن في نفس الوقت لابدّ أن يتم حكم الموت على الإنسان فهو عقوبة الخطيّة العادلة ، فالإنسان ورَّط نفسه بالتعدي فوقع عدلاً تحت حكم الموت ، لذلك يلزم أن يتم الموت إيفاءً لمطلب اللّه العادل إذ يتحدث عن : "إيفاء الدين المستحق على الجميع".

هـ ـ التوبة بدون التجسد والفداء لا تكفي:

١ ـ لأنها لا تستطيع أن توفي مطلب اللّه العادل الذي هو حكم الموت على المخالف.

٢ ـ تعجز التوبة عن أن تغيّر وتجدّد للإنسان طبيعته . وتجديد خلقه على الصورة الإلهيّة التي هي حالته الأولى.

+ حلّ المعضلة:

لذلك أخذ الكلمة من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتنا (من العذراء ـ كهيكل له ـ وجعله جسده الخاص واتخذه أداة له ، وفيه أعلن ذاته إذ حلّ فيه). وبذل جسده للموت عوضاً عن الجميع ، وقدّمه للآب. كلّ هذا فعله بمحبته لنا وشَفَقته علينا ، وذلك لكي:

أولاً: يُبطل الناموس الذي كان يقضي بهلاك البشر ، إذ أن الكل قد ماتوا فيه ، لأن قوّة الموت قد استنفدت تماماً في جسد الرب ، ولم يَعُد الموت يجد له أي أساس يمسك به ضد البشر نظراء الرب.

ثانياً: لكي يعيد البشر الذين انحدروا إلى الفساد ، يعيدهم إلى عدم الفساد، ويحييهم من الموت بامتلاك جسده وبنعمة القيامة مبيداً الموت منهم كما تلتهم النار القشّ.

"إذ أن الكلمة هو وحده الذي بطبيعته يستطيع أن يجدّد خلقة كلّ شيء ويتحمل الآلام عن الجميع ويكون شفيعاً عن الجميع عند الآب".

٢ ـ المسيح كلمة اللّه تجسّد وقدّم جسده ذبيحة بالصليب لسببين رئيسيين:

أولاً: ليوفي الدين علينا ـ وهو حكم الموت الناتج عن الخطيّة.

ثانياً: ويبطل الموت والفساد ويجدّد خلقة الإنسان على صورة اللّه بموته وقيامته، إذ يقول:

أ ـ ﴿لما كان ضرورياً أيضاً وفاء الدين المستحق على الجميع ـ وهو سبب جوهري حقيقي لمجيء المسيح بيننا ـ لأجل هذه الغاية ـ قدّم نفسه أيضاً ذبيحة عن الجميع ، إذ سلّم هيكله للموت عوضاً عن الجميع ... لكي يحرّر البشر من معصيتهم القديمة (أولاً)، (وثانياً لكي يظهر أنه أقوى من الموت) بإظهار أن جسده عديم الفساد كباكورة لقيامة الجميع﴾.

ب ـ وفي المقالة الثانية ضد الآريوسيين:﴿ لأجل ذلك فإن كلمة اللّه الكامل قد لبس الجسد الناقص ... لكي بعد أن يوفي الدين بدلاً منا ، يكمل بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان ، فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس ﴾.

ج ـ وأيضاً ﴿وعندما أراد الآب أن تُقدّم فدية لأجل الجميع ، وأن تُعطى النعمة للكل ، ... عندئذ أخذ هو جسداً من الأرض .. حتى إذ يكون له ـ كرئيس كهنة شيء يقدّمه ، فهو يقدّم نفسه للآب ويطهّرنا جميعاً من الخطايا بدم نفسه " ويقيمنا من بين الأموات " ﴾.

د ـ ﴿لهذا أخذ الكلمة لنفسه جسداً قابلاً للموت ... وإذ قدّم للموت ذلك الجسد ... كمحرقة وذبيحة خالية من كلّ شائبة ، فقد رفع حُكم

الموت فوراً عن جميع نظرائه، إذ قدّم عوضاً عنهم جسداً مماثلاً لأجسادهم ..

ولأن كلمة اللّه متعال فوق الكل ، كان من الطبيعي بواسطة تقديم هيكله الخاص وأداته البشرية لأجل حياة الجميع ، أن يوفي الدين بموته﴾. وإذ إتحد ابن اللّه عديم الفساد بالجميع بطبيعة مماثلة فقد ألبَسَ الجميع عدَم فساد كأمر طبيعي بوعد القيامة.

هـ ـ ﴿لأنه سابقاً إذ كان العالم ـ كمسؤول ـ يُدان بواسطة الناموس ، أما الآن فإنّ اللوغوس أخذ الدينونة على نفسه ، وبتألمه لأجل الجميع بالجسد ، وهب الخلاص للجميع﴾.

و ـ ﴿أرسل اللّه إبنه الخاص وصار ابن الإنسان باتخاذه الجسد المخلوق. وحيث إن الجميع كانوا خاضعين للموت ، وكان هو مختلفاً عن الجميع (في عدم الخضوع للموت) فقد قدّم جسده الخاص للموت من أجل الجميع. إذن حيث إن الجميع ماتوا بواسطته هكذا قد تمّت كلمة ذلك الحكم (إذ أن الجميع ماتوا في المسيح). وهكذا فإن الجميع يصيرون بواسطته أحراراً من الخطية ومن اللعنة الناتجة عنها ، ويبقون على الدوام قائمين من الأموات ولابسين عدم موت وعدم فساد﴾.

﴿ ... وحيث إن أعمال إبليس قد نُقضَت من الجسد فقد تحرّرنا جميعاً بسبب علاقتنا بجسده ، وصرنا متحدين مع الكلمة ...﴾.

٤ ـ نظرة القديس أثناسيوس لموت المسيح:

أ ـ يرى القديس أثناسيوس أن المسيح سلّم هيكله للموت عوضاً عن الجميع ليوفي العقوبة على المعصية (حسب إنذار اللّه) ، وبذلك فإن الصليب وضع نهاية للموت كعقاب وكعرَض من أعراض فساد الطبيعة البشرية. ولكنه لا يدخل في النظرة القضائيّة للفداء التي نشأت في اللاهوت الغربي منذ **ترتليانوس** ووصلت إلى ذروتها عند **أنسلم** في القرن ١١ .

ورغم أن القديس أثناسيوس يذكر أن السبب الأوّل الذي من أجله قدّم جسده للموت هو أن يوفي العقوبة على المعصية إلاّ أنه يركّز أكثر في شرحه للفداء على ناحية الكيان والطبيعة: إبطال الموت والفساد، تجديد الطبيعة ، إعادة خلق الإنسان حسب الصورة التي خُلقَ عليها أصلاً .

﴿والآن إذ قَد مات مخلّص الجميع نيابة عنا فإننا نحن الذين نؤمن بالمسيح لن نموت (بحكم) الموت الذي كان سابقاً حسب وعيد الناموس لأن هذا الحكم قد أُبطل ؛ وبما أن الفساد قد بَطُل وأُبيد بنعمة القيامة فإننا من ذلك الوقت وبحسب طبيعة أجسادنا المائتة ننحلّ في الوقت الذي حدّده اللّه لكل واحد ، حتى يمكن أن ننال قيامة أفضل﴾.

ب ـ الناحية التي يركّز عليها أكثر في موت المسيح هي أن قوّة الموت قد استنفدت تماماً في جسد الرب ، ولم يعد له سلطان على البشر ، ولم يعد الموت يجد له أساساً يمسك به ضدّ البشر، وأن فساد الجنس البشري يستهلك في جسد الرب ، فيتلاشى الفساد والموت من طبيعة الإنسان ، فقوّة حياة الكلمة قد إبتلعت الموت في موت جسده وحوّل فساد الإنسان إلى عدم فساد.

٥ ـ إنتصار المسيح هذا على الموت وعلى الشياطين تمّ بالموت، ولكن أُعلِنَ وأُظهِرَ بقيامته ، فالقيامة هي الدليل على الإنتصار.

" ... واحتمل الصلب. وسبى الموت بموته. وأرى القيامة بما أنه الإله..." (ذكصا كانين لوالدة الإله – صلاة الساعة التاسعة)

لذلك فموت المسيح هو «بداية جديدة للحياة».

﴿ لأنه بذبيحة جسده وضع حداً لحكم الموت الذي كان قائماً ضدنا ، ووضع لنا بداية جديدة للحياة APXH ZΩHΣ ، برجاء القيامة من الأموات الذي أعطاه لنا ... بطُلَ الموت ، وتمت قيامة الحياة بتأنّس كلمة اللّه ... وهكذا نحن الآن لا نموت بعد كخاضعين للدينونة بل كأناس يقومون من الموت ننتظر القيامة العامة للجميع ، التي سيُبيّنها في أوقاتها اللّه ، الذي أكملها ، والذي وهبنا إياها (١تي ٦:١٥).

+ وبموت المسيح مات الموت حقيقة.

٦ ـ ﴿الآن بعد قيامة المخلص بالجسد ـ لم يعد الموت مرعباً والمؤمنون بالمسيح يدوسونه كأنه لا شيء ، ويفضّلون أن يموتوا عن أن ينكروا المسيح. لأنهم يعلمون يقيناً أنهم لا يهلكون بالموت ، بل يبدأون الحياة فعلاً ، .. ويصبحون عديمي الفساد بفضل القيامة﴾.

﴿إحتمل الموت لا من أجل نفسه بل من أجل خلود الجميع وخلاصهم﴾.

ثالثاً: النتيجة التي يوصلنا إليها تجسّد المسيح وموته وقيامته: أي ما نناله نتيجة إبطال الموت والفساد.

يؤكّد القديس أثناسيوس في مواضيع عديدة جداً من كتاباته على الحالة السامية جداً التي يهبها المسيح للإنسان بفضل إبطاله لقوّة الموت والفساد فهو يوضح أن الإنسان بفضل نعمة المسيح وعمل الروح القدس فيه كنتيجة للأنتصار على الموت وعلى الفساد ينال نعمة البنوّة للّه بسكنى المسيح في داخل الإنسان وفي مرات كثيرة يستعمل تعبير يؤلّهنا بدلاً من تعبير يصيّرنا أبناء ، وأحياناً يستعمل تعبير "**نصير شركاء الطبيعة الإلهية**" **الوارد في رسالة بطرس الرسول الثانية** ، وفي بعض الأحيان يستعمل تعبير الإتحاد باللّه أو يوحّدنا باللّه بدلاً من تعبير التأليه أو يؤلهنا. كل هذه التعبيرات البنوّة ، التأليه ، الشركة في الطبيعة الإلهيّة ، الإتحاد باللّه يقصد بها القديس أثناسيوس أن المسيح بعمله الفائق في **تجديد الطبيعة البشرية** يوصل الإنسان إلى حالة أسمى من الحالة التي كان عليها الإنسان قبل السقوط .

ملاحظة:

عندما يستعمل تعبير يؤلهنا لا يقصد إننا نصير من جوهر اللّه فهذا مستحيل طبعاً فلا يمكن أن يكون جوهر اللّه أي أقنوم سوى الآب والإبن والروح القدس الذين هم واحد في جوهر الألوهية. ولكنه يقصد باشتراكنا في اللّه أو إتحادنا به أو تأليهنا إننا ننال فيضاً من غنى الحياة الإلهية التي تنسكب في داخلنا بالروح القدس الذي يعمل فينا من خلال الأسرار المقدسة.

تتمة من العدد السابق

الجزء الثاني

أمّا في **مسيحيّة الغرب**، فهناك واقع مختلف كليّاً فيما يخصّ موضوع الأيقونات. صحيح أنّ الكنيسة الغربيّة دَعَّمت قرارات المجمع المسكوني السابع خلال مشاركتها فيه ، ولكن ممارساتها فيما بعد شدَّدت على أهميّة الدور التربوي للصورة ، ولم تلتفت إلى أهميّة الحضور الإلهي في الأيقونة. ولا يجد الإيمان الأرثوذكسي في الكنيسة الكاثوليكية الغربية أي أساس لاهوتي بما يخصّ موضوع الأيقونة كحامل الحضور الإلهيّ بالنعمة غير المخلوقة التي يعطيها الروح القدس والتي ينالها كلّ مؤمن في علاقته الشخصيّة باللّه. وهذا لأنّ الكنيسة الكاثوليكية الغربية لا تميّز بين الجوهر غير المخلوق والقوّة والنعمة الإلهيّة غير المخلوقتين. وتماماً لأنّ الكنيسة الكاثوليكية لا تقبل وجود النعمة الإلهيّة غير المخلوقة ، وترفض تأليه الإنسان الذي يشترك في هذه النعمة ، ينقص لهذه الكنيسة المعقولات اللاهوتية اللازمة لتطوير تعليم عن الأيقونات يعبّر عنه بواسطتها تأليه الإنسان.

حسب المفهوم الكاثوليكي تقوم علاقة الإنسان باللّه بواسطة نعمة مخلوقة. وهكذا عندما ينال الإنسان خَلاصة والنعمة ، على قول الكاثوليك. فإنّه لا يتخطّى طبيعته ، لأنّ النعمة التي تخلّصه تنتمي إلى عالم المخلوقات. وهكذا، فإنّ الفنّ الديني الغربي بقي طبعاً تحت قيود قوانين الطبيعة المخلوقة ، وهذا ما يفسِّر الصفة الطبيعيّة في هذا الفنّ. نحن نعتقد أن المفاهيم اللاهوتية المذكورة أعلاه توضح لماذا أدخل الكاثوليك على صورهم الإنارة من جانب واحد والتي تسبب ظلالاً عدّة على الصورة وتعبّر فقط عن النّور الموجود في هذا العالم. وهذه المفاهيم توضح أيضاً لماذا يسمح الكاثوليك أو على الأقل يتحمّلون صوراً ليس لها علاقة بالشخص المصوّر فيها والتي تسبّب في بعض الأحيان تساؤلات سلوكيّة/أخلاقيّة. يشير كلّ هذا إلى أنّ التصوير الديني الغربي بقي تحت قيود العالم الحاضر الساقط غير المتجلّي. لذلك نستطيع القول بحقّ إنّ الرسم الديني في المسيحيّة الغربية لا يعود إلى تدهور الرسّامين فحسب، بل إنّه يعود، كما يقول العالم المختص بالأيقونات ليونيد أوسبنسكي Leonid Uspensk ، إلى إنحراف اللاهوت الغربي الذي يعبِّر في دوره عن الحياة الكنسيّة الضّالة التي تعيشها المسيحية الغربية.

بخلاف الرسم الديني الغربي ، يفترض الرسم الأرثوذكسي للأيقونات لاهوتَ الكنيسة الأرثوذكسيّة وخبرتها. إنّ الشرق الأرثوذكسي يشدّد على أن يفرّق بين جوهر اللّه وقوّته، وهذه هي علامة لاهوته وأساس خبرته الروحية. علاوةً على ذلك، تعبّر الأيقونة الأرثوذكسية بواسطة فنّها المعروف وإنارتها المميّزة عن هذا اللاهوت وعن هذه الخبرة في تصويرها للأشخاص المتألّهين بين القديسين. وهكذا ساهمت عقيدة الأيقونة في إدراك حضور الأصل المصوَّر في الأيقونة.

كيف يُفهم إذاً حضور المسيح والقدّيسين بالنعمة ؟

علينا أوّلاً أنْ لا ننسى أنّ لأيقونة المسيح أساسها العقائديّ في تجسّد اللوغوس الإلهيّ الذي يجعل أيضاً تصوير القدّيسين من البديهيّات ، لأن القدّيسين هم أعضاء ممجَّدين لجسد المسيح المُنعم ، ولأنّ كنيسته ، أعني جسد المسيح ، تتأسّس وتتراءى في الإجتماع الإفخارستيّ فإنّها تصير المكان الأنسب لتصوير أعضائها الممجَّدين الذين هم أعضاء جسد المسيح.

في تصوير المسيح على الأيقونة يقول قرار المجمع المسكوني السابع: لا تتخالط ولا تتماثل طبيعتا المسيح بشكل التعليم القائل بالطبيعة الواحدة، ولا تُقسَّمان كما كانت تعلّم النسطورية. علاوةً على ذلك ، وكما يقول القدّيس ثيوذُرس الستوديتي: "كُل مَن يُصَوِّر في أيقونة يصوِّر ليس بطبيعته بل بحسب أقنوميّته". باعتبار ذلك فإنّنا لا نصوّر لا الطبيعة الإلهيّة ولا الطبيعة البشرية بل أقنوم المسيح بخصائصه المعينة التي تحدّد طبيعة المسيح البشرية. وهكذا ، تصوّر أيقونات المسيح شخص الإله/الإنسان. إنها شخصية الذي هو إله تام وإنسان تام والذي له وجود في الطبيعتين. في أيقونة المسيح يظهر شخص المسيح حسب طبيعته البشرية لأنّه في تجسّده صارَ مرئيّاً وتاريخيّاً. في تصوير خصائص الطبيعة البشرية للمسيح صار المسيح ملموساً كإله تام وإنسان تام. وكما لا تفصل في تصوير المسيح الطبيعة البشرية عن اللوغوس الإلهيّ.

في أيقونة المسيح يوجد أيضاً تصوير لطبيعته البشرية المؤلّهة ولكن هذا الناسوت المؤلَّه لا يُعقَل دون حضور الألوهة التي منها يتألّه الناسوت. ونحن نعرف أنّ الطبيعة البشرية لا تتألّه من نفسها . في حالة المسيح تألّهت الطبيعة البشرية من خلال الإتحاد الأقنومي ، هي مُسحَت بألوهة الكلمة الإله وصارت هذه الطبيعة شبيهة لله، شبيهةَ للمسيح ، دون أي تغيير ، الطبيعة البشرية صارت دون اختلاط ودون تفسير جزءاً من أقنوم الكلمة الإله. طبيعة المسيح البشرية قد تألّهت دون أن تخسر خصائصها الطبيعية. وعلى هذه النقطة تماماً أنشأ آباء المجمع المسكوني السابع تصوير المسيح. إن جسد المسيح يبقى دائماً جسداً بغضّ النظر عن تألّهه، وهو جسد بكلّ الخصائص الطبيعية والمخلوقة

التي من بينها إمكانية تصويره في رسم. إنّ تصوير المسيح ، إن كان قبل أو بعد قيامته ، يؤيّد أنّ الطبيعة البشرية للمسيح وطبيعة كلّ إنسان مرتبطة بجسد المسيح الأسراري وهي تبقى دائماً مخلوقة. جسد المسيح القائم هو نفس الجسد الذي لمجيئه التاريخي ولكن مع الميزة الخاصّة بكونه (الجسد) قد تحرّر من الموت ومن حدوديّة هذا الدهر اللذين يفرضان ويُلزمان على كلّ جسد قوانين الطبيعة. بالرغم من ذلك فإنّ جسد المسيح ما صار غيرَ ماديْ ولا تصير أجساد المؤمنين في القيامة العامة غير ماديّة ، ولكنها ستصير روحانيّة.

من النصوص المميّزة لمفهوم أيقونة المسيح نجد إعتراف المجمع المسكوني السابع التالي: "عندما نرسم أيقونة السيّد نعترف بأنّ جسد السيّد قد تألّه ونفهم أنّ هذه الأيقونة لا تشير إلاّ إلى تصوير أصله".

وبالتالي لا تعبّر أيقونة المسيح عن مزاج فنّيّ ما ولكنّها طريقة تعبير للاهوت الكنيسة. ولأن الطبيعة البشرية في المسيح قد تألّهت ، يجب على الأيقونة، التي تقلّد أصلها، أن تشير إلى هذه الحقيقة. تصوير الأيقونات في الكنيسة الأرثوذكسية يتحرّك في إطار المفاهيم المثبّتة في المجمع المسكوني السابع ، وسيبقى هكذا لكي يحافظ على هويته. والأسلوب البيزنطي (الرومي) الذي تطوّر في الشرق الأرثوذكسي يُعبِّر بأفضل طريقة عن الخبرة والحقيقة الأرثوذكسيتين. تعبِّر أيقونة المسيح ، إلى درجة بعيدة ، عن حقيقة إتحاد الحقيقتين دون تغيّر ودون امتزاج في شخص الكلمة الإله. هذا لا يعني، طبعاً، أنّ الأيقونة الأرثوذكسيّة تصوّر وتُظهر الطبيعة الإلهية. هذا يعني فقط أنّ فنّ الأيقونة يحاول أن يشارك الإنسان الحياة الإلهيّة وأن يشهد لخبرة القداسة على الجسد البشري. وبالتالي فإنّ الأيقونة الشرقية تصوّر المسيح كإنسان/الإله. كما ويشدّد المجمع المسكوني السابع على أن: "الكنيسة الجامعة تصوّر المسيح في هيئته البشرية، هذه الهيئة لا تُفصل أبداً ألوهة المسيح المتّحدة بها". الطبيعة الألهيّة، كما قلنا سابقاً، تحضر في الأيقونة "بواسطة النعمة والقوّة الإلهيتين".

على هذه الأفكار نستطيع الآن أن نبني رأينا. عندما نقول إنّ المسيح حاضر في أيقونة بحسب النعمة نقصد أنّ المسيح لا يحضر في طبيعته ولكنّه يحضر في قوّة الألوهة وفي نعمتها. هكذا يلاقي المرءُ في الأيقونة حضورَ الأصل حسب النعمة.

ولكن بينما يحضر المسيح بالنعمة في أيقونته بسبب ألوهيته غير المنفصلة، كيف يتمّ هذا الحضور في أيقونات القديسين ؟ وإذا كان هذا صحيحاً، ألا يتخطّى القدّيسون حدود المخلوقات ؟

الجواب ينبع من إطار كنسي صحيح ، وهو يتبع أيضاً الفكر اللاهوتي للآباء المدافعين عن الأيقونة وقراراتهم العقائديّة.

أولاً، بينما أنّ تصوير المسيح ووالدة الإله يكرز ويشهد لتجسّد الكلمة ، يشير تصوير القدّيسين إلى جسد المسيح الأسراري. أيقونتا المسيح ووالدة الإله تعبّران عن العقيدة المسيحانية. أيقونات القديسين ، من جهتها ، تعبّر عن النتائج والوجودية

إن جسد المسيح يبقى دائماً جسداً بغضّ النظر عن تألّهه، وهو جسد بكلّ الخصائص الطبيعية والمخلوقة.

للعقيدة المسيحانية، إذ إنّها تشير إلى الوجود في المسيح كما اختبره الأشخاص المصوّرون في هذه الأيقونات. بكلام آخر ، إنّ أيقونات القدّيسين تُعلن حياة المسيح غير المخلوقة كما اختبرها هؤلاء الأشخاص. في تصوير القدّيسين تُظهر الكنيسة للمؤمنين الهوية الشخصيّة لأعضائها المجدّين ، أعني أنّ الكنيسة تعلن خصائص هؤلاء الأشخاص في وضعهم الذي وهبهم إياه المسيح، كما قال القدّيس يوحنا الدمشقي ، وهكذا تشهد الكنيسة لمشاركة المصوَّر في المجد الإلهي وفي نعمة المسيح.

ويقول القدّيس ثيوذُرس الستوديتي في هذا الخصوص: إنّ تصوير القدّيس يشير إلى الإتحاد غير المنفصل القائم بين الأشخاص المصوَّرين.

لا تخطىء الكنيسة في فهمها للمسيح عندما ترسمه في أيقونة ، لأنها لا تفصل بين الطبيعتين ، ولا تخطىء الكنيسة في فهمها للكنيسة عندما ترسم القدّيسين ، لأنّ المسيح لا ينفصل عن أعضائه المجدّين. وهكذا، كما ترسم الكنيسة المسيح في طبيعته البشرية المجدّة ، هكذا ترسم أيضاً القديسين في طبيعتهم المؤلّهة. هذا يعني أنّهم يصوَّرون على أساس وضعهم الإنسانيّ الجديد الخاص بأعضاء جسد المسيح المجّد. هذا الوضع الإنساني الجديد هو وضع أخرويّ يُلخَّص في تجلّي الوجود المخلوق للمصوَّرين من خلال مشاركتهم في القوى الإلهية والمجد الإلهي. دون هذا الوضع الجديد تخسر أيقونات الكنيسة أي اختلاف مع الرسم الطبيعي التابع **للغرب المسيحي** الذي يصوّر الإنسان دون أي مشاركة بالنعمة والمجد. بكلام أدقّ، إنّ التصوير الغربي لا يعبّر عن نتائج العقيدة المسيحانية على الجسد الأسراري ، ويقتصر على تصوير الإنسان بشكله الحيوي العادي المتعَب في سلوكيّاته. إلا أنّ إنساناً سلوكيّاً كهذا ينتج من مفهوم **نسطوريوس وآريوس** للمسيح. لأن حسب نسطوريوس وآريوس فإنّ ملء الإنسان له طابع سلوكيّ وليس وجوديّ. لا نتّهم الكاثوليك بالآريوسيّة ولا بالنسطورية. نحن نشير إلى أنّ عدم تمييزهم بين جوهر اللّه وقواه يسبِّب سلسلة من المشاكل في حقل النتائج المسيحانية ، وهذه المشاكل تنعكس أيضاً على رسمهم الديني.

يتبع في العدد القادم

تابع من العدد السابق

الجزء الثاني من : الملائكة وخدمة التعبّد

وحينما تترنّم الملائكة ، مقدمة تسبيحها أمام العرش ، فإنّها تكون أشبه بأوتار قيثارة مباركة يوقع عليها اللّه أحلى الأنغام، أنغام التعبّد الرائعة العذبة ، التي تتضمّن كلّ رقّة ومجد يفوق كلّ خيال بشري. وترتفع الأنغام ، نغمة بعد نغمة ، ولحناً بعد لحن ، في ترانيم قدسيّة للحمل الذي ذُبح ليشتري بموته الخلاص للجنس البشري ، والفداء للعالم أجمع، جماهير الجماهير من الملائكة تقدّم الإكرام للحمل ، مسبّحين في فرح غامر ليسوع الطاهر القدّوس ابن اللّه ، وفي بهاء الكواكب المشعّة الباهرة ، تحيط هذه الكائنات بيسوع في جلاله الملكي وبهائه الفائق. أما ترنيمتهم المباركة «المجد للحمل» فتتجاوب أصداؤها في السموات ، والأعتاب أمام العرش تردّد هتافاتها: «قدّوسٌ قدّوسٌ قدّوسٌ الآب والإبن والروح القدس» ، أما الحمل في العرش فيبدو لامعاً كالشمس ، وعلى رأسه التاج المتلألىء وحوله النّور المتألّق ، ولكن الجروح التي في يديه وقدميه ، الجروح التي اشترى لها بها الخلاص الأبدي،فإنّها تتألق ببهاء أقوى من النور المحيط بالعرش.

ثمّ يأخذ منظر التعبّد أبعاداً تتسع كما تتسع الدائرة العظيمة ، وكأنّي بها تشير بنويا إلى إتمام مشورات اللّه السرمديّة. وهكذا تتجه تموجات الألحان السماوية التي تقدَم أمام العرش إلى بقاع الأرض ، حيث يبدو البشر ، وكأنما يتّسمعون من بعيد. وعند سماع أنغام إسم يسوع حمل اللّه ، تملأ الحلاوة قلوبهم ، وإذا بهم يُجذبون لموجة التهليل ، فتتحد الأرض مع السماء في الفرح الغامر ، عند سماع الألحان المجيدة التي ترتفع في تمجيد الإله المثلّث الأقانيم ، وفي النهاية ترتفع أصوات الوجود بأسره في تقديم التعبّد للحمل. (رؤيا ٥:١٣).

إنّ تعبّد الملائكة في السماء، أمام عرش اللّه له هذه القوّة الدافعة الدافقة حتى إنّه يضمّ الوجود كلّه في دائرته، جاعلاً الكل يشتركون في هذه الترنيمات الغامرة الفائضة عددٌ غفير لا يعد من الكائنات المخلوقة من البشر والمخلوقات جمعاء تشترك مع الملائكة التي تخرّ أمام العرش ساجدين كباراً وصغاراً معبّرين عن محبّتهم وشكرانهم وفيض قلوبهم ، مقدّمين التعبّد للّه الآب والإبن والروح القدس ، نعم كافة الخلائق ... كلّ المخلوقات في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وحتى في البحر تتحد أصواتها معاً في سيمفونيّة الحمد والتسبيح ، ورغبتهم الواحدة هي أن ينفقوا أنفسهم في خدمة الربّ ، ممجّدين اللّه ومقدّمين التعبّد لحمل اللّه لأجل ذبيحته التي أتت بالفداء للبشرية.

فقط يمكن سماع هتافات وتسبحات اليوبيل ، هناك أمام عرش اللّه ، هناك في ملء الجلال الألهيّ يبدو يسوع ، حمل اللّه مشعاً بنوره البهيّ ، بينما الجموع تخرّ ساجدة أمامه في خشوع ورعب مقدّس ، عند رؤية الجروح. لقد كانت الملائكة فقط هي التي تشبع به ، عند رؤيته ، في وقت من الأوقات وها هو كلّ كائن في الوجود الآن ، يسبي حمل اللّه قلبه بمرآه ، بعد أن قدمت ذبيحة محبّة اللّه.

إن رؤيا العبادة السماويّة أمام العرش ، تظهر لنا ما سيحدث يوماً ما في نهاية عصر سفر الرؤيا حينما يقيّد الشيطان ، ويتقدّم الجميع بعبادة موحّدة للإله الحيّ.

لقد كانت الملائكة ، هي الفئات الأولى التي امتلأت فرحاً، وترنّمت بهجة، «حينما ترنّمت كواكب الصبح وهتف جميع بني اللّه» (أيوب٣٨:٧). واليوم فإنّ الملائكة أيضاً هم الذين يلهبون قلوبنا ويلهموننا لنقدّم التسبيح للّه ، نحن الذين افتدانا حمل اللّه لكي نصير ملوكاً وكهنة أمام عرشه ؛ وكم تكمل أفراحهم حينما يشاهدوننا ونحن نزداد تأملاً في يسوع «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف» ممتلئين شبعاً به نظيرهم . مقدّمين السُبح له مثلما يفعلون ، بفرح وبهجة قلب. إنّ العالم الملائكي يلتهب شوقاً لرؤية تعبّد المفديين وسماع ترنيماتهم ، ذلك لأنّهم كانوا مستعبدين يوماً لسلطة عدوّ الخير ، وليسوا نظير الملائكة في حالة البراءة الدائمة. لقد كانوا عبيداً وتحرّروا وكان يمكن أن يظلّوا تحت العبوديّة ، لو لم يكن يسوع حمل اللّه قد اشتراهم بدمه الكريم.

ويا لها من خدمة عظمى عجيبة ، قد أؤتمن عليها الملائكة خدمة تقديم الحمد ، والتعبّد للّه ، وسوف يأتي الوقت الذي فيه تشترك كافة الخلائق الحيّة في هذه الليتورجيّة ـ خدمة التعبّد للّه ـ في الرسالة إلى العبرانيين (١:١٤) يرد القول عن الملائكة: «أليس جميعهم أرواحاً خادمة» حرفياً : أرواحاً ليتورجيّة ـ أي أرواحاً تعبّدية مترنّمة.

إنّ النّار من عرش اللّه ، يبدو أنها تغلغلت في كيان الملائكة ، فامتلأوا بالغيرة الكاملة ، وتدافعوا حول العرش مقدّمين الحمد بلا انقطاع للأله مثلّث الأقانيم ، لأجل شخصه ، وهكذا يبدو وكأنّما قد تشبّعوا بسموّ اللّه وجلاله ومقدرته ومجده ، وإذ امتلأوا على هذا النحو ، إلتهبوا رغبة وشوقاً أن يعلنوا لكل واحد، الربّ ، الملك ، المتوّج . ولذلك رفع الملائكة العرش بالأيدي ، حاملين إيّاه أمام عيون العالم أجمع، لكي ترى الخلائق مجد اللّه ، بل الإله في مجده. بينما ألسنتهم تعلن بلا انقطاع سُبحه وتمجيده هاتفة: مَن هو مثل الربّ إلهنا صانع العظائم وحده. التتمة في صفحة ١٦

هل حقاً تحبّ اللّه ؟

السامري الصالح !!!

فأيُّ هؤلاء الثلاثة ترَى صار قريباً
للذي وقع بين اللصوص.
فقال: الذي صنع معه الرحمة.
فقال له يسوع إذهب أنتَ أيضاً
واصنع هكذا (لو 10: 37-36)

الأب: أنتوني م. كوتيارس

قال سائح ذات مرّة لمرشد سياحي يتفاخر بمدينته: «لك حقّ أن تتباهى بمدينتك، لقد تأثّرت جداً بعدد الكنائس التي فيها ، لابدّ أنّ الناس في هذه المدينة يحبّون اللّه». فأجابه المرشد: «قد يحبّون الرب ، ولكنهم حقيقة كالذين في الجحيم يكرهون بعضهم بعضاً».

يحكي **دوستويفسكي** عن إمرأة مُبشّرة ، كانت تجول نواحي روسيا بغيرة مسيحية عظيمة تُكلِّم كلّ إنسان عن محبّة اللّه ، ومع ذلك فإن نفس هذه المرأة لم تكن تحتمل أن توجد في حجرة واحدة مع شخص آخر، فقد كان هناك رجل يُحدث صوتاً وهو يشرب الشوربة، ولكن هذا أثار إشمئزازها. وإمرأة أخرى كانت تنقنق أثناء ضحكها ، وهذا كان يثيرها ، ورجل آخر كان يُشَخِّر أثناء نومه ، وهذا كان يزعج سلام فكرها تماماً. لاحظ **دوستويفسكي** هذا فقال: «مع أنّ هذه المرأة كانت تحب اللّه على العموم ، فإنها لم تتمكّن من أن تحتمل الكائنات البشريّة على الأخص»، فلا عجب إذن إن قال أحد إنه من الأسهل عليك أن تحب اللّه عن أن تحبّ الناس. اللّه لا يُرى ولكن الناس يُرون، ومقياس حبنا للّه هو حبّنا للناس. وإن كان حبّك حقيقيّاً ، فهذا الحبّ سوف يُعَبِّر عن نفسه في المحبة للآخرين. وعن هذا يقول القديس يوحنا: «إن قال أحدٌ :إني أحب اللّه وأبغَضَ أخاه ، فهو كاذب . لأن مَن لا يحب أخاه الذي أبْصَرَهُ ، كيف يقدر أن يحبَّ اللّه الذي لم يبصره ؟»(١يو٤: ٢٠).

محبّة الناس تفيض وتتدفّق من محبة اللّه:

ينبغي أن نحب اللّه فوق كل شيء ، ومن كل الفكر والقلب والنفس والقدرة، لأنه من محبتنا للّه يمكننا أن نحب إخوتنا البشر، ولهذا السبب فإن الوصيّة العظمى تضع محبّة اللّه أولاً: « تحبّ (أولاً) الرب إلهك من كل فكرك ومن كل نفسك ومن كل قوّتك ، و(ثانياً) تحبّ قريبك مثل نفسك». إنّ محبة الناس تتدفّق من محبة اللّه ، وكلما زادت محبة الإنسان للّه ، كلما زادت محبة الإنسان لقريبه ، وكلما قلّت محبة الإنسان للّه ، كلما قلّت محبة الإنسان لقريبه. إنه من خلال وحدتنا بالثالوث ، الآب والإبن والروح القدس ، نتمكّن من أن نحب ثالوثاً آخر ، ألا وهو: **اللّه والنفس والقريب**.

الخطيّة العظمى هي: أن لا تحبّ اللّه:

إن كانت الوصية الأولى والعظمى هي أن تحب اللّه من كل كيانك ، فإنه يترتّب على ذلك أن تكون الخطية العظمى هي ألا تحب اللّه ، فتحب نفسك وتحب الأشياء وتحب أولئك الذين يحبونك.

يوضح الكاتب العظيم المكَرَّس **أزوالد شامبرز** ما يحدث عندما نستبدل محبة اللّه بمحبّة الأشياء أو محبّة الذّات فيقول: «إن ما يجري سوف يكون هكذا: إذا نحن أحببنا كائناً ما ولم نحب اللّه ، فإنّنا نحتاج من هذا الكائن كلّ الكمال والإستقامة وصحة الرأي ، وعندما لا نحصل على ذلك ، فنحن نصير قساة وانتقاميين. إنّنا نطلب من الكائن البشري ما لا يمكنه أو ما لا يمكنها أن تعطيه. إنه يوجد كائن واحد يمكن أن يُشبع اللجة الملتهبة شوقاً للقلب البشري ، وهذا هو الرب يسوع المسيح». إنه هو الذي نحن مأمورون أن نضعه الأوّل في الحياة وأن نحبه بكل كياننا.

الحاجة إلى التوبة:

إذا كانت خطيتنا الكبرى هي أننا لا نحب اللّه ، ولكن بدلاً من ذلك نحب أنفسنا ونحب المقتنيات ، إذاً توجد حاجة ضروريّة أساسيّة لنا أن نتوب ، لنحوِّل طريقنا: من إستغراقنا في الأمور الثانوية غير الهامة والتي هي غالباً محبَّات خاطئة لنتحوَّل إلى اللّه بكل قلبنا.

سأل شخص ما ذات مرَّة: «كيف يمكنني أن أحب اللّه كما تطلب منِّي الكتب المقدّسة أن أفعل ، كيف يمكنني أن أهبه كل القلب؟» ، فكانت الإجابة التي أعطيت له: «يجب عليك أولاً أن تفرغ قلبك من الذّات ومن الأشياء المصنوعة».

وحقّاً ، كيف يمكننا أن نحب اللّه ، إن كانت قلوبنا مملوءة بمحبة الذّات ومحبة الأشياء ، إن كانت **ممتلئة بالكراهية والحسد**؟ إنّنا في حاجة أن نتوب لكي نفرغ قلوبنا من هذه المحبات الخاطئة ، حتى يمكن أن يوجد مكان في الداخل ليأتي الروح القدس ويملأنا بمحبة اللّه ، لأن الروح القدس لا يمكنه أن يأتي ويجعلنا نحب اللّه من قَبل أن نتوب أولاً ونفرغ قلوبنا من المحبات الأقل التي تحاول أنَ تأخذ مكان اللّه. إنّ اللّه يعمل للخير فقط لأولئك الذين يحبّونه ، وبدون الروح القدس فإنه لا يمكننا أن نحبه.

ظهورات يسوع بعد القيامة:

من البَيِّن أن جميع ظهورات يسوع بعد قيامته كانت فقط لأناس كانوا يحبّونه ، إلاّ واحداً . بعد قيامته لم يظهر لبيلاطس أو لهيرودس أو لقيافا أو للجنود الرومان. لماذا؟ لماذا لم يبهرهم الرب أو يربكهم أو يسحقهم بأن يُعلن لهم أنه حيٌّ وموجود حقيقة ؟ . إنّ الإجابة هي أنه عرف أن مثل هذه الظهورات لن تؤدي إلى أي فائدة حقيقيّة. إنه عرف أن مثل هذه الظهورات، على أفضل الأحوال سوف ترعبهم ، بل وعلى نحو أسوأ قد يتقسّوا وتزداد مقاومتهم. إن ظهورات يسوع بعد القيامة كانت فقط لأولئك الذين يحبّونه ، فقط لأولئك الذي قلوبهم قد تحوّلت نحوه. وبنفس الشيء هو حقيقيّ اليوم ، إن يسوع هو واقعي فقط لأولئك الذين يحبونه ، فقط لأولئك الذين سوف يُسلِّمون حياتهم له ، وهو يعمل للخير في جميع الأشياء فقط لأولئك الذين يحبّونه.

يقول القديس بولس إنه في حياة أولئك الذين يحبونه ، يكون اللّه في حالة عمل مستمر مثل يد رئيس فريق النَسّاجين ، حيث يأخذ خيبة الأمل وأحزان الحياة الساحقة ويستخدمها لينسج بركات خاصة ذات قيمة أبديّة خالدة.

هل تحبّ اللّه ؟ هل ترغب في التوبة إن كنت قد وضعت محبّتك الأولى في الأشياء المخلوقة أو في الأشخاص أو في ذاتك ؟ أو ترغب أن تُصلّي حتى يملأك الروح القدس بمحبّته ؟ إن كان هكذا ، فيمكنك أنت أيضاً أن تقول: «إنّني أعلم أنّ اللّه يعمل في جميع الأشياء للخير في حياتي لأنّني أحبه». إنّك سوف تصير مثل الزوجة التي أجرى زوجها عملية جراحيّة خطيرة ، والطبيب يقول لها إن جسم زوجها ينتشر فيه السرطان ، وما هي إلاّ أسابيع قليلة ويقضي أجله. إنّ إستجابة المرأة لكلمات الجرّاح هي مثال للثقة مشابه لما يقوله القديس بولس في (رو٨:٢٨).

قالت المرأة: «إنني لن أصدر حكماً بخصوص هذا إلى أن يقطع اللّه بهذا. ليست لدينا أفكار ما الذي سيحدث بخصوص هذا الموقف. قد لا تكون الأمور رديئة مثلما يفكّر الجرّاح ، قد يوجد أمل للشفاء ، أو قد يحدث شيء خيِّر غير متوقَّع من خلال مرض زوجي. إنه من المبكّر جداً أن نحكم الآن ، إنّ صلاح اللّه ومراحمه تدركنا كل أيام حياتنا ، ولن يهجرنا الآن ، تماماً مثلما قال أيوب: «فلو بدا أنه يقتلني ، إلاّ أنني سوف أظل أثق فيه» .

صلاة

أيها الرب ، كما سألت بطرس يوماً. «سمعان بطرس أتحبني؟» هكذا أنت اليوم تسألني نفس السؤال. إن إجابتي إنما هي إعتراف: **«سامحني يا ربّ ، أنت تعلم أنني أحبك دائماً من كلّ قلبي. إن محبات هذا العالم الأقل شأناً قد زاحمتك أحياناً ، ولكني آتي إليك يا رب اليوم بحزن شديد ، ساعدني لأفرغ من قلبي هذه المحبات الأدنى حتى يمتلأني روحك القدوس بمحبّة كاملة لك ، ولك وحدك»** ، لأنه توجد وصيّة عظمى واحدة لكل واحد: أنه يجب أن نحبك من كل قلبنا ومن كل نفسنا ومن كل قوّتنا ومن كلّ فكرنا ، وإن فعلنا هذا ، فسوفَ تفيض محبّتك محبة للقريب ، وليس هذا فقط ، بل وسوف ترينا من خلال هذه المحبة أن جميع الأشياء سوف تعمل معاً لخيري الأبدي. آمين.

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء - فُلك نوح (١٦)

«وحدث من بعد أربعين يوماً أنّ نوحاً فتح طاقة الفُلك التي كان قد عملها ، وأرسل الغراب. فخرج مترددّاً حتى نشفت المياه عن الأرض. ثمّ أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلّت المياه عن وجه الأرض. فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها. فرجعت إليه إلى الفُلك لأنّ مياهاً كانت على وجه كلّ الأرض، فمدّ يده وأخذها وأدخلها إلى الفُلك. فلبثت أيضاً سبعة أيام أُخَر وعاد فأرسل الحمامة من الفُلك. فأتت إليه عند المساء ، وإذ ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح أنّ المياه قد قلّت عن الأرض» (تك٨:٦-١١).

شُبّهت العذراء مريم بأنها حمامة نوح أو الحمامة الحسنة. لأنّه كما أن الحمامة التي أرسلها نوح لتكتشف الأرض عادت مرّة أخرى إلى نوح تحمل إليه غصن الزيتون في فمها علامة أنّ الأرض قد عادت إلى طبيعتها وكان هذا علامة خير وسلام لنوح ولكلّ الساكنين في الفُلك معه. هكذا السيّدة العذراء مريم هي التي حملت أيضاً بشرى الخلاص بحلول المسيح في أحشاءها ، لذا نقول في خدمة المديح الذي لا يجلس فيه:

«إفرحي أيتها الحمامة الدي ولدت الرحوم . إفرحي يا دائمة البتوليّة. إفرحي يا فخر جميع الأبرار وإكليل المجاهدين. إفرحي يا جمال كلّ الصديقين الإلهي. إفرحي يا خلاصنا نحن المؤمنين» (الأوذيّة التاسعة – الذكصا).

تابع من صفحة ١٤ (الملائكة وخدمة التعبّد)

إنّ رؤساء الملائكة ، مع أجواق الملائكة تعلن للبشرية عظمة اللّه، وأمجاده في ملكوته، وهي إذْ ترفع الستار عن أعيننا البشرية الماديّة ، تقدّم لنا الفرصة لننال لمحة من جلال اللّه ومقدرته وعظمته اللانهائيّة ، إذ يعلنون أمجاد اللّه في تعبّدهم له ، وحيما يقدّمون لنا هذه الأسرار العظمى ، يرغبون في إجتذابنا إلى التعبّد للّه.

إنّ الملائكة بطبيعتهم وبالهالة التي تحيط بهم ، يعطوننا لمحة عمن هو اللّه ، وعن الطريقة التي يمكننا أن نقترب بواسطتها إليه. إنهم يعلموننا كيف نستطيع أن نصل إلى معرفة اللّه ، في صورة أعمق ، بتقديم السُبح والتعبّد الذي يتركّز فيه هو وحده. مثل هذا النوع من التسبيح ، هو صورة قويّة للعبادة ... لحنٌ يوبيليّ لتمجيد اللّه ذلك لأنه ينبع من التكريس الكامل للّه.

إنّ الملائكة يتجهون على الدوام إلى إرضاء اللّه ، فهم يتركّزون فيه وحده، وليست لهم أي رغبة أو مطلب ذاتي ، وشعارهم هو **«اللّه وحده»**. ففيه يجدون ملء الشبع وهم يلتفون حوله مثلما تلتف الأجرام السماوية حول الشمس ، إنّهم مبتلعون في اللّه. وسرورهم الكامل وبهجتهم هي في التأمّل في صورته المجيدة. التي لهم الأمتياز في رؤيتها على الدوام.

وأما من جهتنا نحن البشر في الحياة المقبلة ، فلا فرصة إلاّ لأنقياء القلب ... الذين تقدّسوا تماماً بعمل نعمة اللّه وروحه في الأعماق. ولا فرصة إلاّ لأولئك ، لينالوا شبع قلوبهم في رؤية الملك في أمجاده.لأنه «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون اللّه».

يتبع

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

الحلّ

الكاهن: لنخرج بسلام.
الشعب: باسم الرب.
الشمّاس: إلى الرب نطلب.
الشعب: يا ربّ ارحم (ثلاثاً). بارك.
ويتلو **الكاهن** أمام أيقونة المسيح الأفشين المعروف بإفشين المنبر.
يا ربّ يا من تبارك الذين يباركونك وتقدّس المتّكلين عليك. خلّص شعبك وبارك ميراثك ، واحفظ ملء كنيستك ، قدّس الذين يحبّون جمال بيتك. أنت شرّفهم عوض ذلك بقوّتك الإلهيّة ، ولا تهملنا نحن المتّكلين عليك ، وهب السلام لعالمك، ولكنائسك وللكهنة ، وللملوكنا ، ولجنودهم، ولكلّ شعبك ، لأنّ كلّ عطيّة صالحة وكلّ موهبة كاملة منحدرة من العلوّ من لدنك يا أبا الأنوار ، ولك نرسل المجد والشكر والسجود، أيها الآب والإبن والروح القدس ، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.
الشعب: آمين.

لنخرج بسلام

القدّاس الإلهي هو مسيرة. مسيرة هدفها ونهايتها اللقاء باللّه والإتحاد به. هذا الهدف قد سبق وتحقّق. قد بلغنا نهاية مسيرتنا ، قد رأينا النور الحقيقيّ ، قد رأينا الربّ متجلّياً على جبل ثابور ، قد تناولنا جسده المقدّس الكليّ الطهارة. وبينما نتجرأ ونهمس لمفتقدنا العظيم: «يا ربّ جيّد أن نكون ههنا» (متى١٧:٤) ، تأتي كنيستنا المقدّسة وتذكّرنا أنّ نهاية مسيرتنا الليتورجيّة ينبغي أن تشكّل إنطلاقة لمسيرتنا الشهاديّة: «لنخرج بسلام» . فلننطلق بسلام. ينبغي أن نغادر جبل التجلّي لنعود إلى العالم ونسلك طريق شهادة حياتنا. هذه المسيرة تغدو شهادة المؤمن «للطريق» و «للحياة» التي استضافها داخله.

في القدّاس الإلهيّ اقتبلنا داخلنا المسيح. الآن نحن مدعوّون إلى أن نحمله إلى العالم. أن نغدو شهداء حياة المسيح في العالم: شهداء «الحياة الجديدة». «ينبغي أن نخرج من اجتماعنا الشّريف كما لو كنّا نازلين من السموات نفسها»(القديس يوحنا الذهبيّ الفم). كما السيّدة العذراء منذ اللحظة التي اقتبلت المسيح داخلها قد ظهرت «سماء لمن جعل الأرض سماء» (القديس أندراوس الكريتي). هكذا كلّ مؤمن منذ اللحظة التي تناول فيها المسيح ، يغدو سماء حيّة ، شاهداً لحضور الملك السماويّ داخل العالم.

بعد المناولة الإلهيّة ينبغي أن نخرج إلى العالم حاملين المسيح ، حاملين الروح القدس.

فمن الآن فصاعداً يجدر بنا أن نجاهد لنحفظ «النّور» الذي أخذناه غير منطفىء ، لنحفظ مواهب الروح القدس التي منحنا إيّاها غير

مدنّسة. هذه «الحراسة» تكفي لتفعيل هذه المواهب على نحو خلاصيّ في نفوس الأخوة الذين لم يشتركوا بعد في سرّ الشكر. فالمؤمن ، حامل المسيح ، هو الأرض «التي من ذاتها تأتي بثمر» (مرقس ٤:٢٨).

إبتدأ القداس الإلهيّ «بالسلام» ، وأثناءه مُنحنا سلام اللّه مرّات عدّة. والآن نحن مدعوّون إلى تقديم السلام للعالم بمحبّة السلام والمحبّة هما أصل القدّاس الإلهيّ وثمره بآن: «هذا السلام وهذه المحبّة لا يجعلان هذه الصلاة مقبولة فقط ، بل يولدان من جديد من هذه الصلاة ، ويتألّقان كتوأمي أشعّة إلهيّين ، وينموان ويكتملان» (كاليستوس وأغناطيوس كسانثوبولوس).

ملء كنيسة المسيح

إفشينا «وراءالمنبر» يسمي المؤمنين ملء كنيسة المسيح. الكنيسة هي سفينة المسيح المبحرة في هذا العالم. ويكتب القديس هيبوليتوس: «البحر هو العالم ، والكنيسة تبحر في هذا الغمر دون أن تغرق. فقد تولّى دفّتها ربّان هو المسيح. رفعت في وسطها راية الظفر على الموت ، أي صليب المسيح الذي تحمله ... مجاذيفها العهدان ، وحبالها المشدودة هي محبّة المسيح التي تضمّ الكنيسة إلى حضنه ... أشرعتها الروح النازل من السماء الذي به يُختم المؤمنون باللّه ... أمّا بحّارتها من الجهتين اليمنى واليسرى فهم الملائكة والقديسون الذين يحفظون الكنيسة على الدوام» .

كنيستنا المقدّسة هي السفينة المبحرة نحو ملكوت اللّه:

«الكنيسة صعد على متنها رجال من بقاع مختلفة قاصدين تلك المملكة الصالحة في وسط شتاء قارص. سيّدهم هو اللّه ، الربّان هو المسيح ، قائد الرحلة هو الأسقف ، البحارة هم الكهنة ... والركاب هم جماعة الأخوة ، الغمر هو العالم ، الرياح المضادة هي التجارب ، أما الأعاصير فهي الإضطهادات والمخاطر وكلّ أنواع الأحزان» (إكليمندوس أسقف رومية).

يتبع

تتمة من العدد السابق

٤: هل السعادة في الملاذ الجسدية ؟

أنّ أوّل من وهم بهذا الوهم هو أبيكورس الذي زعَم أنّ السعادة في الملاذ الجسدية. زعمٌ فاسد ورأيٌ مُضلّ. فإنّ هذه اللذات وقتيّة وباطلة وما أشبه لذّات العالم بالماء المَالح الذي لا يروي بل يضاعف الظمأ وكل من شَرب منه عاد عطشاناً. إنّ الملاذ الجسدية لا تجلب وراءها إلاّ الأحزان والآلام فإن الذين تمتّعوا ساعة تمتعاً وقتيّاً بلذة توهّموها ، دَفعوا أخيراً ثمنها باهظاً مع ربا الفاحش وجلَبوا على أنفسهم أوجاعاً مُرّة وآلاماً قاسية عقاباً عليها مع توبيخات الضمير ، ويا ليت عقابها كان قاصراً على فاعليها فقط بل إنه يتعدّى إلى أعقابهم لمدّة أزمان طويلة ؛ فما فائدة لذّة تجلب وراءها الأتعاب. لذّة ساعة وعذاب دهر. لذّة تسر اليوم وتعض غداً. ويستحيل علينا أن نجد إنساناً صرف قواه في لذّات الجسد ووجد شيئاً من السعادة والراحة. بل لا يجد أمامه سوى العذاب والشقاء. وهذه نتيجةٌ عادلة ، لأن الحصاد من جنس الزرع. قال الرسول بولس: «أن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً لأن مَن يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبديّة» (غل ٦:٧-٨). «سخطٌ وغضب، شدّة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشرّ» (رو٢:٩)، وهذا ناموس طبيعي سار في الماديّات والروحيّات ، ويستحيل على الإنسان أن لا يجني ويحصد حصاداً من كل ما يزرعه من الشرّ والخير رَضيَ أم أبَى ، فإمّا أن يحصد بركة إن زرَعَ خيراً ، وإمّا أن يحصد لعنةَ إن زرع شرّاً . «لأنّ الحارثين إثماً والزارعين شقاوة يحصدونها» (أي٤:٨). «الزارع إثماً يحصد بليّة» (أم٢٢:٨). «فازرعوا لأنفسكم بالبرّ ، أحصدوا بحسب الصلاح . . . قد حرثتم النفاق ،حصدتم الإثم ،أكلتم ثمر الكذب» (هو١٠:١٢).

ودونك شهادة إختبار سليمان الذي قال عن نفسه: «إفتكرتُ أن أعلّل جسدي بالخمر وأن آخذ بالحماقة حتى أرى ما هو الخير لبني البشر حتى يفعلوه؛ فعظّمت عملي، بنيت لنفسي بيوتاً غرستُ لنفسي كروماً ، عملتُ لنفسي جَنّات وفراديس وغرستُ فيها أشجاراً من كل ثمر ، عملت لنفسي برك مياه لتُسْقَى بها المغارس المنبتة الشجر ، قنيتُ عبيداً وجواري وكان لي وُلدانُ البيت ، وكانت لي أيضاً فضّة وذهباً وخصوصيّات الملوك ، إتخذتُ لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيّدة وسيّدات ، ومهما اشتهته عيناي لم أمسكه عنهما ، لم أمنع قلبي عن كلّ فرَح ، ثم التفتُ أنا إلى كلّ أعمالي التي عَملَتها يداي وإلى التعب الذي تعبته في عمله فإذا الكلّ باطلٌ وقبض الريح...» (جا٢:١-١١).

هذا من جهة الملاذ الجسدية المحرّمة. بل إن الملاذ الجسدية التي لا إثم فيها كالأكل والشرب فهذه إن خرجت عن حدّها جلبَت الأحزان والأمراض ، لقد صدق المثل القائل: «الحلق أقتل من السيف» ، وطريقة الحياة هي المعيشة باعتدال وحكمة في كلّ شيء. والإفراط في الأكل مضرٌ ومجلب لإنزعاج العقل وارتباكه ، لأن العقل لا يقدر أن يقوم بوظيفته والمعدة مُثقلة بأحمال فوق طاقتها. وإذ كنّا نعتبر الأكل بإفراطٍ مضراً فإنّنا يجب أن ننظر إلى الشرب وأقصد به هنا المسكرات والمفاسد واللعنة الكبرى على مدمنيه. قال شكسبير: «أعوذ باللّه من أن يُدخل الناس في أفواههم عدواً هو لصٌ يسرق عقولهم».

قال سليمان الحكيم: «لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن إزمهرار العيني، للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون في طلب الشراب المزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا احمرّت حين تُظهر حبَابَها في الكأس وساغت مرقوقة. في الآخر تلسع كالحيّة وتلدغ كالأفعوان .عيناكَ تَنظران الأجنبيات وقلبك ينطق بأمور ملتوية. وتكون كمضجع في قلب البحر أو كمضجع على رأس سارية. يقول ضربوني ولم أتوجّع. لقد لكأوني ولم أعرف. متى أستيقظ. أعود أطلبها بعدُ» (أم٢٣:٢٩-٣٥).

ظهر مما تقدّم أن السعادة ليست في المال ، ولا في المجد ، ولا في العلم ، ولا في لذّات الجسد ، ولا في شيء من مثل ذلك. إذ لو كانت السعادة في أمر من هذه الأمور لما رأيتَ مُعدماً يبتسّم ولا موسراً يتأوّه ولا شريداً على الأرض يستخرج من وحدته سروراً.

كثيراً ما رأيتُ أناساً إتّسعت لديهم الأرزاق ونالوا شيئاً كثيراً من مجد الدنيا يردّون أبصارهم عما امتلكوا ويلتفتون إلى ما يجلب لهم البلاء ويخلقون لأنفسهم الشقاء بأيديهم. بينما رأيتُ ألوفاً من العمال الذين يدأبون طلباً لرزقهم وليس لديهم ما يكفي قوتهم وقوت عيالهم يسيرون في الحياة وعلى شفاههم ابتسامات الرضى وفي قلبهم فراغٌ لا يملأه إلاّ أداء واجبهم إذ خَلَت نفوسهم من الأطماع.

يتبع في العدد القادم

تفسير لأيقونة

إقامة لعازر الصديق من بين الأموات

أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكلُّ مَن كان حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد. (يو١١:٢٥-٢٦)

ولما وصل المسيح إلى بيت عنيا قالوا له إنّ لعازر في القبر منذ أربعة أيام. فقال يسوع إرفعوا هذا الحجر فرفعوا الحجر وصاح يسوع بعد ذلك بأعلى صوته: هلمّ لعازر فاخرج، فخرج الميت مشدود اليدين والرجلَيْن بالعصائب. فقال لهم يسوع حلّوه ودعوه يذهب. فآمن به كثيرٌ من اليهود الذين جاءوا إلى مريم يعزّونها.

إعتبرت قيامة لعازر من أهم الأحداث التي دفعت الرؤساء للقضاء على المسيح. فبعدما أقام المسيح لعازر من القبر ، عَقَدَ عظماء الكهنة والفريسيّون مجلساً سرياً ، تساءلوا فيه: ماذا نعمل فإنّ هذا الرجل يأتي بآيات كثيرة. فعزموا منذ ذلك الحين على قتله.

تكمن أهميّة هذه الأيقونة في كونها تنقل إلينا آية عظيمة أتى بها يسوع. إنّها نبوءة حيّة عن موته وقيامته. ولذا تضعها الكنيسة في مدخل أسبوع الآلام ، الذي سيقودنا إلى عيد الفصح والقيامة.

تحدّثنا هذه الأيقونة عن وصول يسوع إلى بيت عنيا مع تلاميذه الذين يشكّلون جسماً واحداً معه ، وكأنّهم يريدون حمايته بأجسادهم خوفاً عليه من أعدائهم الذين عزموا على قتله. إنّهم ينظرون بدهشة إلى لعازر القائم من القبر.

يقف الرسول بطرس وراء السيّد المسيح ويشير بيده عليه أنّه حقّاً سيّد الحياة والموت.

إصطفاف التلاميذ بجانب يسوع يجسّد ما قاله الرسول توما في لحظة حماسته: فلنمض نحن أيضاً ونموت معه.

يبدو المسيح واثقاً من نفسه، يمُدّ يده بحركة ثابتة بأتجاه لعازر صارخاً بأعلى صوته هلمَّ لعازَر فاخرج ، وكان من قَبل قد رفَعَ عينيه وقال: شكراً لكَ يا أبتي لأنّك استجبت لي ، وقد علمتُ أنّك تستجيب لي في كلّ حين. ولكني قلت هذا من أجل أولئك الناس الذين يحدقون بي لكي يؤمنوا بأنّك أنتَ أرسلتني.

أصابع المسيح الثلاثة الممدودة بإتجاه لعازر تشير إلى وحدة الثالوث، الآب والإبن والروح القدس. أما الأصبعان المطويّان فترمزان إلى طبيعتيّ المسيح الإلهيّة والإنسانيّة، وهو يحمل في يده اليسرى ملفّ النبوّات.

يرتدي المسيح اللون الأحمر دلالة على طبيعته الإلهيّة. ويلفّه رداء أخضر اللّون رَمز تجدّد الحياة. وحول رأسه هالة نورانيّة يتوسطها صليب وقد كتب عليه بالأحرف اليونانيّة ما معناه أنا هو أي الكائن. ينظر السيّد المسيح إلى صديقه لعازر الخارج من الكهف المظلم، أما لعازر فيقف على باب القبر ملفوفاً بالكفن الأبيض رمز القيامة ، بينما ظلمة القبر تعني الموت؛ حول رأسه هالةٌ من النّور رمزُ قيامته من الموت وهذا النّور مصدره المسيح.

لقد صوَّر كاتب الأيقونة المغارة حيث القبر ما يشبه أحشاء الأم التي تعطي الحياة. فلعازر وُلدَ ولادة ثانية ، وعودته إلى الحياة تؤكّد بأن المسيح هو سيّد الموتَ والحياة.

لنتأمّل مرتى ومريم جاثيتين أمام المسيح. إستقبلت مرتى

يسوع راكعة وفي نظرتها إليه عتاب الأصدقاء ، يمتزج فيها الثقة والإيمان أنّ بإمكان يسوع بأن يسأل ربّه ، وأبوه سيجيبه.إخفاء يديها تحت الرداء إعترافٌ منها بأن المسيح هو اللّه وابن اللّه الآتي إلى العالم ، أما مريم وهي التي غسلت رجلي المسيح بدموعها وجفّفتهما بشعرها ، نراها مرتمية عند قدميه قائلة له كما ورد في إنجيل يوحنا:«لو كنتَ ها هنا لما مات أخي».

وسأل يسوع حينئذ أين وضعتموه ودمعت عيناه. أمام هذا المنظر قال الحاضرون: أنظروا أيّة محبّة كان يحبّه ، أمَا كان بإمكانه أن يَرُدَّ الموت عنه.لم يفهم أحدٌ قصد الرب من موت لعازر ، ولكن سيأتي يومٌ وسيفهمون معاني الآيات.

نرى وراء الصخرة المنشقّة سور بيت عنيا مكان الحدَث ومكان تجمّع النّاس الذين جاءوا إلى مريم ومرتى معزّين.يضع أحدهم رداءه على أنفه إتّقاءاً من الرائحة الكريهة المنبعثة من الجثة التي مضى أربعة أيام على وجودها في القبر، ينظر الجمع إلى المسيح بدهشة وكأنّهم لا يصدّقون أعينهم. لقد أقام المسيح حقّاً لعازر من القبر.

في أسفل الأيقونة نرى رَجُلَيْن أحدهما يرفع غطاء القبر ، والآخر يحلّ وثاق لعازر ويرفع عنه الكفن فيما ينظر إلينا مؤكّداً أن لعازر قد قام من الموت. أسرار الموت والحبّ والإيمان ترفّ هذه الأيقونة وتكشف قيمتها اللاهوتيّة. نحن هنا أمام سرٌّ عميق هو **سرّ الموت** ، ذاك السرّ الرهيب سينتصر عليه المسيح نازعاً منه طابعه المأساوي الأليم ، هذا السرّ ذاته سيجد في شخص المسيح القائم من الموت نهايته الأخيرة من خلال محبّة اللّه العظمى.

فلكل واحد منّا حريّة الإيمان ، إن رفَض كان ذَهَبَ فريسة الموت وبات كمن لا رجاء له. وإن آمن بأن **المسيح هو القيامة** كانت له الحياة والحياة الوافرة بالحضور الدائم مع اللّه .

ماذا نقصد بقولنا: بالقيامة

للمطران جوارجيوس خضر

قولنا بالقيامة : يعني أنّ المسيح لم يعرف البَلَى ، لا تَدع قدّوسك يرى فساداً ؛ فلم يتقمّص جسداً آخَرَ ، ولَـم يَصر آخَر. إنّه إكتسبَ نوعيّة في الوجود جديدة. فدَخَلَ على التلاميذ والأبواب مغلقة، فلم يبقَ خاضعاً لنواميس الطبيعة التي حدَّ بها نفسه بالتجسّد ، لم يضلَّ أسير الزمان والمكان ، فلَم يَحتَاج إلى طعام أو نوم ، وبَدَت إنسانيّته ملتحفةً بالنّور الإلهيّ غير المخلوق ، وجلسَ عن يمين الآب مستقلاً عن العالم المخلوق ، وصارَ ينشىء الكنيسة من جسده المجيد، بإرسال الروح القدس المستقرّ فيه ، وإذا مُتنا فإنَّ ما يُحيي أجسادنا المائتة بالروح القدس في اليوم الأخير.

ولذلك أسّس بولس قيامتنا على قيامة المخلّص إذ يقول: «فإن كان الأموات لا يُقامون فولَا المسيح أُقيم» (١كو١٥:١٦)، ولكون الرسول عَرَفَ أنّ جسد المسيح تجلّببَ بالضياء قال: إنّنا نحن جميعاً سنتغيّر بحلول المجد الإلهي علينا وانتصارنا على محدوديّة اللحم والدم ، فالأكل والتناسل.

قبل هذه القيامة النهائيّة نذوق طعمها في أسرار الكنيسة، وفي هذا يقول الرسول : فقد مُتنا معه في المعموديّة حتى كما أُقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب ، كذلك نسلك نحن في جدَّة الحياة ، أي إنّنا إذا عُمّدنا ونزلنا في الماء نرمز إلى الموت والدفن مع المسيح ، ثمّ عند صعودنا من الماء نرمز إلى قيامته ، فيتحقّق إذ ذاك الخلاص فينا ويصير كلٌّ منّا خليقة جديدة ، وهكذا نصير على شبه قيامته ، فلا نعود نخدم الخطيئة. تلك هي الولادة الجديدة التي تجعلنا قادرين أن نتقبّل الخبز النازل من السماء، الذي مَن يأكل منه لا يموت .

القيامة تبدأ هنا حياة دائمة، ولهذا قال يسوع: إنه لن تكون فيكم حياةٌ مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه. ويؤكّد هنا أنّ مناولتنا للقرابين الإلهيّة هي بداءة الحياة الدائمة فينا ووعدٌ بالقيامة الأخيرة.

وما قيل عن المعموديّة والمناولة الإلهيّة ، يُقال عن الأسرار جميعاً ؛ إنّها مفاعيل القيامة فينا غذاءٌ لنا في المسيح الظافر.

ماذا يعني أنّنا نتقدّس: يعني هذا أنّ الروح الإلهي الذي أتانا يرفعنا إلى جسد المسيح في السماء ويضمّنا إليه فنصير أعضاءَ فيه، فتنبعث أجسادنا في اليوم الأخير ، لأنّ كياننا صارَ فوق، فلا يمكن أن يضبطه قبرٌ إلى الأبد.

مَن يشرب من ماءٍ أنا أعطيه إيّاه فلن يعطش ، بل الماء الذي أعطيه إيّاه يصير نبع ماءٍ يتفجّر حياةً أبديّة.

من أجل ذلك لا نحزن كالذين لا رجاء لهم ولا نتفجّع ، قال يسوع: أنا القيامة والحياة مَن يؤمن بي وإن يَمُت يحيَى ، هذا لا يشير فقط إلى القيامة الأخيرة ، ولكن إلى التجدّد الروحيّ المتدفّق فينا ، حسب قول الربّ للسامريّة: مَن يشرب من ماء أنا أُعطيه إيّاه فلن يعطش ، بل الماء الذي أعطيه إيّاه يصير نبع ماءٍ يتفجّر حياةً أبديّة.

المؤمن بيسوع لا ينهار ولا يَذبُل ، ويتوثّب أبداً ، لأنّ قيامة المخلّص تُفيض عليه بضيائها ، ونحن قادرون بهذا الضياء أن نغيّر العالم.

غرور الغنى والعظمة

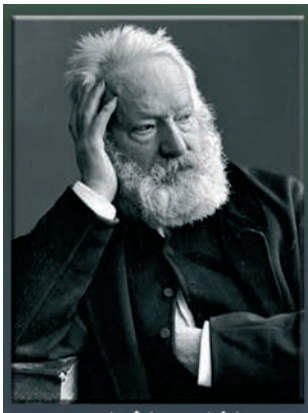

الشاعر الفرنسي
فيكتور هيجو

زاز فيكتور هيجو يوماً سارة برنار، وكان على منضدتها جمجمة رجل عظيم. فقالت له: ألا يحضرك شيء في وصفها ، فكتب الشاعر الفرنسي بعض الأبيات ترجمها إلى العربيّة الشاعر طانيوس عبده قال:

وأنشد آخر في الغرور

يا قفص الطير أين الهـزار
يا حـافظ الشدو أين النغم
ويا خازن النور أين الضياء
ويا جبل النار أين الحمم ؟

إنـي أرى داء الغـرور
أباً لآلاف الشرور
كاللجئون فهل شفاك
يسوع من داء الغرور ؟

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٤٠)

الفصل الرابع: يشوع والقضاة

أ - يشوع وامتلاك كنعان • ثالثاً- الغزو في الشمال (يش١١-١٢)

بعد أن بسط يشوع سلطانه في وسط وجنوب كنعان ، تحرّكت قوى الشمال لتتحد في تحالف لمحاربة يشوع ، وهم خصم شرس فاجتمع يابين ملك حاصور أهم مدن الشمال مع حلفائه ملوك يوباب ومادون وشمرون واكتاف مع ملوك الجبل والصحراء حتى تكون حلفاً ضخماً أعظم من حلف الجنوب، وكانت جيوشاً جرّارة غطّت الأرض من أقاصي الشمال عند لبنان إلى سهل يزراعيل في الجنوب ، وإلى البحر الكبير في الغرب وهو ما أخبرنا به يوسيفوس أنها كانت أكثر من ٤٠٠ ألف مقاتل ، وعشرين ألف مركبة حديد فكانوا بذلك يملكون التفوّق في الأعداد والسلاح.

مياه ميروم والتحدي العظيم:

مياه ميروم بحيرة متّسعة ، مياهها زرقاء وقد تجمّع الحلفاء الكنعانيّون في تلك المنطقة الحصينة عند ذلك الفاصل المائي وحسب تقديراتهم أنه لن يستطيع العبرانيون أن ينالوا منهم أو يهزموهم، فإن كانوا قد نجحوا في التلال في حربهم مع الجنوب لكنّهم حسب ظنهم لن يكونوا أكفاء للحرب مع العربات الحديد والفرسان المجتمعين بأعداد وفيرة. لكن يشوع الذي تشدّد بوعد من اللّه جمَعَ قوّاته ولم ينتظر أن تزحف إليه جيوش أعدائه ، لكنه إتجه إلى الشمال ناحية مياه ميروم والتي تبعد عن الجلجال مسيرة خمسة أيام ، وقد صار على مقربة يوم واحد وتقدّم إلى أعظم معاركة إذ داهمهم بغتة في فجر النهار ، واختار الخوانق الضيّقة التي لا تلائم حرب العربات ، ودخل في غابات البلوط والجميز عند مياه ميروم وجذب جيش أعدائه، وهكذا لم تتمكّن العربات الحربيّة التي للكنعانيين أن تشترك في القتال ، ووسط هذا الفزع والإرتباك تمكّن العبرانيون ببراعة فائقة من عرقبة أرجل الخيل وحرق العربات فلم يجد الكنعانيون أمامهم بعد أن تملّكهم الإضطراب والفوضى سوى الهرب ناحية صيدا ، فدخل يشوع مدينة حاصور وتبعه رجاله بعد أن هرب منها المدافعون عنها فأخذوها وأحرقوها بالنّار وقتلوا سكّانها، وفعلوا ذلك مع المدن الأخرى عدا تلك التي كانت فوق التلال وانتهت الغزوة بالنصر العظيم لجيش الإسرائيليين.

وبعد الغزوات الثلاث ينتهي بذلك تاريخ الغزو والمقاومة المتحالفة وإن كانت هناك حملات أخرى على الجبابرة من العناقين الذين كانوا قد أفزعوا جواسيس موسى (عد١٣:٢٢-٢٣)، وتحوّلت الحرب إلى نزاع محلي ضعيف بعد أن قامت الأسباط بتطهير الأرض من الكنعانيين ، ويذكر السفر قائمة الملوك المهزومين وأسماء المدن الكنعانيّة التي فتحها يشوع ، وكان من الحكمة أن لا يستأصل يشوع الكنعانيين دفعة واحدة بل يكون ذلك تدريجيّاً لئلا تفتك بهم تلك الوحوش التي كانت في الأرض إذ كانت أعداد العبرانيين قليلة على أن تملأ الأرض. (خر٢٣:٢٨ ، تث٧:٢٢).

تقسيم الأرض بين الأسباط :

الأسباط شرق الأردن:

تقدمت الأيام بيشوع إذ بلغ التسعين عاماً وبعد أن صار الشعب في الأرض وقد أرخى يده ولكن المفروض كان عليه تكملة إنتصاراته وأن يقرض ما تبقى من الكنعانيين ، وجاءت المرحلة الأخيرة في مهمة يشوع وهي تقسيم الأرض بين الأسباط ، وكان موسى قد أعطى أسباط رأوبين وجاد ونصف سبط منسى نصيباً في شرق الأردن قبل أن يعبر الشعب (عد٣٢:٣٣-٤٢) ، فامتلك نصف سبط منسى أرض باشان في الشمال وهي أرض غنيّة في زراعاتها ومراعيها ، وإن كانت هذه الأسباط قد امتلكت أرضاً طيبة وخيّرة في شرق الأردن ، لكنها كانت مهدّدة بمخاطر البدو المحيطين بها.

حجارة كريمة ترمز إلي أسباط إسرائيل الإثني عشر: روبي، توباز، زمرّد، العقيق، الياقوت، الماس، سيترين زبرجد، جمشت، توباز أرزرق، والجزع والزبرجد.

الأسباط غرب الأردن:

قام يشوع وأليعازر في الجلجال بتقسيم الأرض، وقسمت الأرض في غرب الأردن بين بقيّة الأسباط مع النصف الباقي من سبط منسى ، وكانت الحدود بين الأسباط حسب وصف السفر (يش١٣:١٩) ، وكانت الفواصل الطبيعيّة مثل الجبال والينابيع وجدوال المياه والمنحدرات تستخدم كعلامات للتقسيم ، وأعطى السفر وصف الحدود بين الأسباط وأسماء مدن السبط (ربما كانت أسماء المدن صورة لفترة لاحقة). وتحقّقت النبوّة والبركة التي قال عنها يعقوب لأولاده (تك ٤٩) ، فرأوبين فاتر كالماء بالرغم أنه البكر لكن تقدّم عليه يهوذا ، ويهوذا الذي باركه يعقوب ذاك السبط العظيم يصير أوّل الأسباط في التقدّم وفي الإرتحال وفي الحرب ، فأعطيَ نصيباً متّسعاً ، لقد أخذ مائة وتسعة مدينة تتنوّع في طبيعة أراضيها ، لقد كان كجرو أسد بين أعدائه وكانت حدود يهوذا (يش ١٥) هي موآب من الشرق وأدوم من الجنوب والعمالقة من الجنوب الغربي والفلسطينيون من الغرب ، ولكن سبط يهوذا أقوى ملوك إسرائيل ومنه أتى المسيح بالجسد ، وكان اليبّوسيون يسكنون أورشليم المدينة المحصّنة وكانت من نصيب بنيامين لكنها ضُمّت إلى السبط القوي يهوذا.

يتبع

تتمة من العدد السابق

سر الموت

سرّ الموت

سر الموت

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس
نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

الملاك يبشر النسوة
أنظرن الأكفان ملفوفة
أسرعن وبشرن تلاميذه
أن الربّ قد قام وأمات الموت.

٦) سؤال: أيٌّ هي العبارة الأصحّ: ساعة الموت أو لحظة الموت؟

جواب: هذا يتوقّف على كيفية تفسير كلمتي «ساعة» و «لحظة». في الحديث، غالباً ما نستعمل كلمة «ساعة» لنعني «لحظة»، لكني أفهم أن سؤالنا هو حول ما إذا كان الموت عملية تمتد أو تنتهي بلحظة. ما يمكن قوله هو أنّه قد يكون هناك عملية موت أي الأمراض المزمنة التي تقود الإنسان إلى الموت لكن إنفصال النفس عن الجسد يتمّ في لحظة محدّدة بمشيئة الله. هذه اللحظة مهمة لأنّ شكل وجود الإنسان يتغيّر ولا يمكننا أن نعرف كيف يكون من بعدها. نحن نعرف حالة إرتباط النفس بالجسد حيث يتمّ الاتّصال بالخليقة عبر الحواس. لكننا لا نعرف عن خبرة ما سوف يصير بعدئذ ولا كيف نصير. في الحاضر نحن نرى العالم المخلوق من الله والناسَ والأصحابَ وجمال الأرض، لكننا لا نرى الملائكة والشياطين. بعد الموت، رؤية النفس لن تكون عبر حواس الجسد بل سوف ترى ما ليس منظوراً حالياً. لهذا السبب، يسعى القديسون للحفاظ على وعيهم بالصلاة خلال عملية الموت، حتى يتركوا هذا العالم مرافَقين بقوة الله ونعمته.

علينا أن نذكر أن القدرة على الصلاة خلال هذه الساعات وتقبّل مناولة جسد المسيح ودمه لكي نُحاط بنعمة الله عند مفارقة النفس للجسد هي إمتياز قد حذفته **آلات دعم الحياة** في غرف العناية الفائقة. من وجهة نظر مسيحية، تتطلب ساعة الموت تهيئة مناسبة، أي إعتراف ومناولة ومسح بالزيت المقدس وصلوات من العائلة والأصدقاء وصلاة شخصية. إلا أنّ في غرف العناية الفائقة يستحيل وجود هذه الخدمة الرعائية الكنسية. وهكذا، بسبب ما يُمارس من التقنيات الحديثة والأدوية يزداد في أيامنا عدد الأشخاص الذين يموتون غير واعين لما يحدث عند تلك اللحظة. هذه مشكلة مهمة. تطرح الطرق الطبية الحديثة إشكالية «إطالة الحياة أو إعاقة الموت». مع كل ما يقدمه الطب الحديث، السؤال هو: هل تُطوَّل حياتنا لنتوب ونكرسها لله أو أن الموت يُعوَّق ما يخلق المزيد من الألم الجسدي والوجودي؟

في مطلق الأحوال، إنها لنعمة عظيمة من الله أن يموت الإنسان مُحاطاً بأحبائه وهم يصلّون له وفوق كل شيء أن يموت في الكنيسة مع المناولة والصلاة وبركة أبيه الروحي ونعمة الله وصلوات القديسين. ما ينبغي أن نتمنّاه هو ميتة كتلك المصوَّرة في أيقونة رقاد العذراء حيث نراها مُحاطة بمحبة المسيح والرسل ورؤساء الكهنة.

٧) سؤال: بعض الناس يموتون فجأة. أصحيح أن الله يأخذ الإنسان عندما تكون إمكانية خلاصه في أقصاها؟

جواب: نحن المسيحيون نؤمن بشكل مطلَق بأننا خُلقنا بمحبة الله وبأنّ الله يوجّه حياتنا ويعطينا الحياة ويأخذها عندَما يجد أن اللحظة مناسبة. نحن نعرف أيضاً أن الله يحب الإنسان الذي خلقه ويريد خلاصه. لهذا، من الأكيد أن الله يسمح بموت الإنسان عند أفضل اللحظات. بالطبع، محبة الله لا تلغي حرية الإنسان. الإنسان قادر على التصرّف إيجابياً أو سلبياً، للتجاوب مع الله أو رفضه. بما أنك ذكرت أن بعض الأشخاص يتوفون فجأة، أريد أن أذكّرك أنّه علينا أن نتذكّر الموت باستمرار. لا ينبغي أن نشعر بأننا سوف نحيا لانهائياً على الأرض لأن هذا مرض روحي. هناك تعاقب بين الحياة والموت، مشابه لتعاقب الليل والنهار. يشدّد علم جزئيات الحياة على أنّ الموت مرتبط بالحياة بشكل لا ينفصم، لأن بين الجينات جينات للتعمير موجودة في خلايانا. إذاً، من لحظة تكوّننا، يوجد الموت في الحمض النووي، ونرى الموت في جسدنا بموت الخلايا، وبشكل عام، مع التقدم في العمر ومرور السنين والتغضّن والأمراض وكلّ ما نسمّيه في اللاهوت فساداً وقابلية للموت. علينا ألاّ نكون قصيري النظر ونتصرّف مثل النعامة.

في هذه العملية يجب أن نعرف أن الله لم يخلقنا لنموت وأن الموت هو نتيجة خطيئة آدم وحواء وأن الله يحبنا ويهتمّ بنا. إنه أب محب. من غير الصحيح أن نصلّي الصلاة الربية وأن نناديه أباً من جهة، ومن جهة أخرى أن نسلك كالأيتام.

٨) سؤال: يعلّق الإيمان الأرثوذكسي أهمية كبيرة على التوبة، والشكر لله على أنّه أعطانا التوبة. أيمكن أن تبلغ عظمة التوبة عند ساعة الموت لأن يخلص الإنسان حتى ولو كان محمّلاً بالخطايا؟

جواب: في تقليدنا الأرثوذكسي معروف أن الخطايا ليست أمراً أخلاقياً بل هي شيء وجودي، أي أنه يأتي من الحياة طبيعياً بعكس الطبيعة. وهكذا، التوبة هي عودة الإنسان من الحياة ضد الطبيعة إلى الحياة بحسب الطبيعة. بالخطيئة خسر الإنسان شركته مع الله ومع أخيه ومع الخليقة. بالتوبة يستعيد هذه الشركة مجدداً. إذاً، ترتبط التوبة بتقدم تحرر الإنسان من كل ما يستعبده. يصف الآباء هذه التقدم بثلاث كلمات: **التطهر، الأستنارة والتألّه** وهذا ما

يسمّونه علاجاً. هذا يتمّ خلال كل الحياة. لهذا، الخلاص مرتبط بالشفاء. طبيب الجسد يفحصنا ويشخّص ما بنا ويعطينا طريقة الشفاء التي علينا تطبيقها. نفس الشيء يصحّ في مرض النفس. الاعتراف عند ساعة الموت يفتح للإنسان طريق الخلاص. إن لم يكن عند الإنسان ما يكفي من القوة للشفاء روحياً، فالكنيسة بصلواتها تساعده على الخلاص، أخذاً بعين الاعتبار أن الكمال غير متناهٍ، ذو طاقة طبيعية وليس حالة من الثبات.

خلال حياتنا علينا أن نكتسب روح التوبة هذه. علينا أن نتأمّل في كيف خُلقنا من الله والنقطة التي بلغناها بسبب الخطيئة. إذا قرأنا كتاب التكوين بتأنٍ وبحسب تعاليم آباء الكنيسة ورأينا كيف عاش آدم وحواء وما صارا عليه لاحقاً، تنمو التوبة في داخلنا. إذاً، مَن كان صاحب «روح» توبة في حياته، يحس بهذه التوبة عند ساعة موته، وبالفعل إلى درجة كبيرة. وبالعكس، مَن يقضي حياته بلا توبة يصعب أن يظهر توبة عند اللحظة الأخيرة.

أبي الروحي الطيب الذكر، كالينيكوس ميتروبوليت إديسا، عاش باستمرار مع ذكر الموت. عندما أخبره الأطباء أن عنده ورم في دماغه، اعترف وكتب وصيّته وصلّى وكان واثقاً من الله مردداً: «لربما الله يقول لي توقّفْ. أنا لا أحتاجك بعد». وكان يصلّي دائماً مردداً: «لتكن مشيئتك». لقد سلّم نفسه لله فكانت آخرته سلامية مقدسة مشابهة لمجمل حياته.

إذاً، بالرغم من إمكانية التوبة عند اللحظة الأخيرة لَمن كانت عنده شعلة محبة الله، إلا أنّه ينبغي أن نتوب فيما نحن أصحاء لكي نشفى، أي لنتقدّم من محبة الذات إلى محبة البشر، أي للخروج من المحبة الأنانية إلى المحبة التي تنكر الذات.

٩) سؤال: بعد موت الإنسان، ما هي ارتباطات النفس وهذا العالم؟

جواب: بالرغم من انفصال النفس عن الجسد، يبقى شخص الإنسان موجوداً. كما نرى في قصة الرجل الغني ولعازر، فالغني كان مدركاً لحالته، واعياً لأقربائه الذين ما زالوا أحياء ومهتماً بهم. إذاً، بعد الموت، يهتمّ البشر بأحبائهم ويسألون خلاصهم من الله. كل صلواتنا للقديسين تقوم على هذه الحقيقة. بالطبع، هذا الارتباط بين النفس والأحياء هو رباط روحي وليس مادياً. في كتاب رؤيا يوحنا الذي يصف الليتورجيا السماوية، نرى علاقة القديسين بنا وصلواتهم من أجل كل الأحياء على الأرض. لهذا السبب، يصوّر آباؤنا في القداس الإلهي هذه الليتورجية غير المخلوقة التي تتم في السموات، في الهيكل غير المخلوق. في القداس، نحن نعيش مسبقاً جو الليتورجيا السماوية.

نحن غالباً ما نحسّ بمحبة القديسين وحمايتهم، كما بمحبة وحماية المنتقلين من المقرّبين منا، ونتمنى أن نلاقيهم. أحدى بناتي الروحيات كانت سعيدة جداً عند ساعة موتها لأنّها، بحسب ما قالت، سوف تلتقي بهذه الكنيسة السماوية. إذاً، تستمر النفس بالحياة بعد خروجها من الجسد ولا تمضي إلى العدم. إذا عاش إنسان ما بالتوبة خلال حياته، فنفسه بعد الخروج من الجسد، تدخل هذه الليتورجيا الإلهية وتصلّي، ككاهن روحي، من أجل كل العالم وتنتظر قيامة الأجساد حين تدخل النفس الجسد لكي يشترك الجسد بدوره في الاحتفال بالفصح السماوي.

١٠) سؤال: ما هي النصيحة التي علينا إسداؤها لَمن هم حولنا بخصوص موقفنا من شخص مقبل على الموت عند يوم أو ساعة أو لحظة موته؟

جواب: عملية الموت ضرورية لكل إنسان إذ إن أمامه إما طريق الخلاص أو طريق الهلاك الأبدي. للأسف، في هذه الحالات، كثيرون لا يهتمّون إلا بالصحة الجسدية لأقربائهم أو أحبائهم، من دون أي اعتبار لما هو أبدي. لهذا علينا أن نهتمّ بأن الشخص المقبل على الموت يعترف ويتناول ويتلقّى نعمة الله من خلال سر المسحة بالزيت المقدس ويقوم بكل ما توفره كنيستنا. بوجه خاص علينا أن نقضي آخر لحظات أحبائنا في الصلاة. علينا أن نتأمّل ليس فقط في أننا نخسر قريبنا أو صديقنا بل بأنه ينتقل من طريقة وجود (بجسد وحواس) إلى طريقة أخرى من غير جسد. فعند ذلك الوقت تكون الحاجة للصلاة الحارة. أذكر لحظات أبي الروحي الأخيرة، كنت بجانب سريره ولم يكن بإمكاني تقديم أي شيء آخر، كنت أصلّي فقط لكي تتقبل الملائكة نفسه. إحدى قريباتي التي كانت موجودة ظنّت أني كنت حزيناً لأني كنت مركزاً على الصلاة. بينما أنا كنت أصلّي ليس إلا، لأنّ تلك اللحظة كانت مقدسة وحاسمة.

عموماً، علينا أن نختبر يومياً، كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم، أن الحياة الحاضرة هي «نزل». نحن ندخل هذا النزل، نحيا، لكن علينا أن نهتمّ بالخروج في رجاء حسن من دون أن نترك هنا أي شيء حتى لا نخسر ما هو هناك. إلى هذا، ينبغي أن يدرك كل المسيحيين أنّ الموت قد انغلب بصليب المسيح وقيامته، وأن الشركة مع المسيح هي تجاوزٌ مستمر للموت والخوف منه، وأن خروج النفس من الجسد هو مسيرة نحو الكنيسة العلوية واللقاء مع المسيح والعذراء الكلية القداسة والقديسين، وأنّ النفس سوف تعود إلى الجسد وأنّ الجسد سوف يُقام ويحيا إلى الأبد، بحسب ما عاش هنا على الأرض. يكتب القديس مكسيموس المعترف أنّ من لحظة الموت، وخاصة بعد الحكم الأخير، هناك إمكانيتان: الذين في شركة مع المسيح سوف يحيون في «وجود أبدي سعيد» والباقون في «وجود أبدي بائس». إذاً، الكل سوف يتمتّعون بالوجود الأبدي. الفرق هو بين **السعيد** و**البائس**. لهذا، نصيحتنا لأقربائنا وأصدقائنا المشرفين على الموت هو بأن يؤمنوا بالمسيح ويثقوا بأننا لسنا مجرّد مواطنين في هذا العالم، بل نحن مسافرون متوجهون إلى بلدنا الحقيقي الذي هو السماوات. نحن مواطنون فوق في السماوات وينبغي أن تكون رغبتنا في الأرض السماوية غامرة.

تشبّهاً برقاد العذراء نقول: أن تكون أواخر حياتنا مسيحيّة سلامية، بغير حزن ولا خزي، وجواباً حسناً لدى منبر المسيح المرهوب. نسأل

وتمت قيامة الحياة
بتأنّس كلمة اللّه

(القديس أثناسيوس الإسكندري)